جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربى

إنصاف الخليفة عثمان من افتراءات صاحب الكشف والبيان

الدكتور / عبد الله محمد جمال الدين

العدد ٤٤

القاهرة
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي

إنصاف الخليفة عثمان من افتراءات صاحب الكشف والبيان

الدكتور
عبد الله محمد جمال الدين

العدد ٤٤

غرة شوال ١٤١٩ هـ - الموافق يناير ١٩٩٩ م

يشرف على إصدارها

الدكتور / محمود حمدي زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور / عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مقدمة

أ . د/ عبد الصبور مرزوق
نائب رئيس
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فى تاريخنا الإسلامى كثير من الأحداث وكثيرون من الرجال تعرضوا لمظالم واتهامات وتزييف كانت لها آثارها المرة فى فساد التقييم وفساد الأحكام ولها آثارها الأكثر تدميراً على وجدان وعقول جماهير المسلمين الذين تأثروا بهذا التزييف وانقسموا أحزاباً وشيعاً موزعة الولاء متضاربة الاتجاه متنافرة متناحرة .

وكان الثمن فادحاً ذلك الذى دفعته وما تزال تدفعه أمة الإسلام نتيجة انقسامها إلى شيعة وسنة وإلى فرق ونحل لا يثق بعضها ببعض بل ويضرب بعضها رقاب بعض .

وازداد الطين بلة أن هذا التزييف لأحداث وأشخاص التاريخ الإسلامى لم يقف عند هذا الحد البغيض ، بل انسحب على الإسلام نفسه فظهر «الوضاعون» والكذابون

الذين افترى كل فريق منهم أحاديث وأكاذيب ونسبوها إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وباتت هذه الأكاذيب فكأنها قذائف باطل تزداد مع الأيام ثباتاً وقوة وتزداد تأثيراً فى تدمير وحدة الأمة وتأريث الخلاف والعداء بين أجزائها .

***

وإذا كان الأصل أن تكون حال أمة الإسلام هى حال الجسد الواحد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقى الأعضاء بالسهر والحمى كما تحدث رسول الله صلوات الله عليه فى الحديث الصحيح المشهور .

فإن واقع الأمة اليوم هو كحال الجسد الممزق الذى يستحيل أن يلتئم فضلا عن أن يشعر كل عضو فيه بآلام بقية الأعضاء .

وتلك هى القارعة التى صنعها تزييف التاريخ وثبتتها أكاذيبه.

من هنا كان التنادى الذى دعونا إليه عبر مؤتمرات

وندوات وأروقة للبحوث لإعادة كتابة التاريخ الإسلامى من جديد برؤية موضوعية منصفة تعطى لصاحب الحق حقه وتضع الأمر فى نصابه .

لكن المنتفعين بالفرقة والخلاف سواء كانوا من أصحاب الأهواء والمصالح من أبناء المسلمين الذين أقاموا أوضاعهم وزعاماتهم على الأكاذيب والافتراءات .

أو كانوا من أعداء المسلمين جميعاً المتربصين بهم الدوائروالذين يعنيهم أن تظل شمس الحقيقة غائبة ويظل ظلام الشك مبسوطاً ومسيطراً على العقول والقلوب لتظل شعوب الإسلام ممزقة يسودها عدوها ويدخل بينها كل يوم بالفتنة والوقيعة .

وهذا ما نحاول اليوم أن نبدأ الطريق لمواجهته ومحاولة الخلاص منه .

***

من هنا كان حرص المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على نشر هذه الدراسة الموضوعية الموثقة فى محاولة

صدرت للانتصاف للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه مما افترى عليه من أباطيل ...

سائلين الله أن تكون فاتحة دراسات موضوعية جادة تحق الحق وتبطل الباطل ، وتجمع المسلمين من جديد على صورة الأمة التى تحدث عنها القرآن مرتين بصيغة الأمة الموحدة حين قال :

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[1].

وحين قال :

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[2].

والله من وراء القصد وهو دائماحسبنا .

---

(١) سورة : الأنبياء : ٩٢ .

(٢) سورة : المؤمنين : ٥٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

نشرت حوليات الجامعة التونسية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسماً من كتاب عنوانه « الكشف والبيان » للخارجي الإباضي أبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي نسبة إلى « قلهات » من مدن « عُمان » ، تحقيق محمد بن عبد الجليل .

والباب السابع عشر من الكتاب المذكور (١) يفيض بل يقتصر على ذكر ما نسب لسيدنا عثمان - رضي الله عنه - من المساوىء ، ولا يشير - ولو من طرف خفي - إلى مأثرة واحدة من مآثره في خدمة الإسلام وما أكثرها ، وكأن عثمان لم يكن في حياته إلا معايب ومآخذ .

وأنا أعرف أن اتجاه المؤلف هو اتجاه عامة كتّاب الشيعة والخوارج ، ولكن نشر أمثال هذا الكتاب في هذه الآونة

(١) انظر الحولية المذكورة : العدد الحادي عشر سنة ١٩٧٤ ص ١٨٠ : ٢٠٨ .

بالذات التى يدرك فيها المسلمون قيمة وحدتهم والبحث عما يجمع لا ما يفرق ، ولا يفيد ولا يغنى ولا ينفع فى شىء ، ثم إن سيدنا عثمان - رضوان الله عليه - لم يكن بهذه الصورة التى انعدمت فيها الفضائل وخلت تماما من الحسنات ؛ ولهذا فأنا أحاول تقديم المطاعن التى جاءت بالباب مرقمة ؛ ليتسنى حصرها ثم نعقب عليها اعتمادا على المصادر التى عالجت هذا الموضوع فى القديم والحديث ، فأخشى ماأخشاه أن يطلع إنسان على هذا الكتاب أو المقال وأمثاله ، فيظن أن الخليفة عثمان - رضى الله عنه - كان على الصورة التى وردت به ، لا يعرف له غيرها .

إن الإنصاف يفرض على الباحث أن يقدم دفاع الخليفة المظلوم عن نفسه ، مع دفاع من تصدى من العلماء لنفى وتفنيد مانسب إليه ، رضى الله عنه ، وبذلك تصبح الصورة كاملة جلية أمام الناس فيؤمن من آمن عن بينة ويكفر من كفر عن بينة .

ومن حق المؤلف علينا أن نقول إنه بدأ مقرراً أن عثمان عمل بالحق ماشاء الله ست سنين - وكأنما آله أن يعترف بفضل عثمان فأردف قائلاً : وهو فى ذلك دون صاحبيه أبى بكروعمر ، ثم بسطت له الدنيا وفتحت له خزائن الأرض ، فأحدث أحداثاً أنكرها المسلمون ولم يعرفوها من سيرة النبى ﷺ ولا من سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

****

*****

***

مفتريات المؤلف على الخليفة الثالث

بعد ذلك بدأ المؤلف حديثه عن الأحداث والمطاعن المنسوبة لسيدنا عثمان والتى نذكرها فيما يلى مرقمة ، تتمثل فى :

١- تعطيل الحدود ؛ فلما قَتل عبيدالله بن عمر« الهرمزان» لم يقده به وعطل الحدود .

٢- استعمال السفهاء من قرابته : فقد عزل خيار المسلمين ، وولى السفهاء من قرابته (معاوية وعبد الله بن عامر بن كريز ومروان والوليد بن عقبة) وكانت توليته للوليد بن عقبة بن أبى معيط على أهل الكوفة ، فجعل يلعب بالسحرة والساحر يريه أنه يقتل إنساناً ويحييه ، فلما مرَّ جندب بن زهير الأزدى وهو يفعل ذلك ، ضربه بالسيف وقطع رأسه وقال : إن كنت كما تزعم فأحى نفسك ، وصلى الوليد بالناس وهو سكران وزاد فى الصلاة .

وولى عثمان عبد الله بن أبى سرح - وهو عدو الله - وقد أهدر نبى اللهﷺ ، دمه ؛ لأنه ارتد عن الإسلام إلى الشرك.

٣ـ تحريفه كتاب الله ، وحرم قراءة ابن مسعود وقراءة أبيّ بن كعب ، وأمر الناس أن يقرأوا على حرف واحد ، وقد قال النبى ﷺ « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » وقد روى عن النبى - ﷺ - أنه قال : « من سره أن يقرأ القـرآن غضاً كيوم ما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » وحرّق المصاحف ، قال أبو ذر : يا عثمان لا تحرق كتاب الله فيحرق الله جلدك ويهرق دمك »

وقد ضرب عثمان عمار بن ياسر - رحمهما الله - حتى فتق بطنه وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه ومات من ضربه ، ومنع كبار الصحابة أعطياتهم مثل ابن مسعود وغيره ، ونقص أهل بدر كل واحد ألفا عما فرضه لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - .

٤ - ارتقاؤه المنبر فى موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ - حمى قطر السماء عن عباد الله وحمى البحر أن تجرى فيه السفن وحمى سوق المدينة .

٦ ـ رد الحَكَم بن أبى العاصى بن أمية ، وهو طريد رسول الله ﷺ فوصله من بيت مال المسلمين بمائة ألف .

٧ ـ وَهَبَ لمروان بن الحكم خمس إفريقية . وآثر قرابته وبناته ونساءه ، وأنفق على صناعة دوره من مال الله مالم يأذن الله فيه . ثم عمد عثمان إلى الصدقة فجعلها لنفسه ولأهل بيته من دون أهلها الذين جعلها الله لهم ، وأعطى « مروان » منها مائة ألف ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾ (١) .

وأعطى ابن عامر صدقة البحرين ، وكتب إلى« الحكم » بثلثمائة درهم (هكذا) وإلى الحارث بن نوفل عامل مكة ومايليها من القرى ومن العرب وغيرهم فتعدى بذلك

---

(١) سورة التوبة الآية : ٦٠ .

حكم الله وحكم رسوله وحكم الخليفتين أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما ، وقد قال عز من قائل ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾[1].

٨ - نفى أباذرّ - رحمه الله - إلى « الربذة » ، ونفى مسلماً الجهنى ونافع ابن الحطام ومن الكوفة كعب بن أبى نجدة و عمر بن زرارة وزيد بن صوجان والأسود بن صوجان والأسود بن دريج ويزيد بن قيس وكردوس بن الحضرمية ، ومن أهل البصرة عمار بن عبد الله العنبرى ومذعورا العنبرى فى جماعة تركت أسماؤهم ، وأخرج من الشام أبا الدرداء . وكنز الذهب والفضة ، وقد قال الله تعالى :

﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم**

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤٧ .

وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون﴾(1) .

٩ ـ وصلى فى منى ، أربع ركعات ، ، وإنما صلى نبى الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ركعتين .

١٠ ـ إدالة المال بين الأغنياء .

١١ ـ كتب إلى عامله بمصر يأمره بقتل المسلمين ممن نقموا عليه فعله ، وأظهر لهم التوبة من ذنبه ، وكتب إلى عامله بقتلهم ثم بدأهم بالفتنة حين رمى رجل من أصحابه رجلا من المسلمين يقال له ، دينار بن عياض ، فقتله ، فطلبوا إليه أن يقيدهم بصاحبهم فامتنع .

١٢ـ منع أهل عمان والبحرين أن يبيعوا طعامهم حتى يباع طعام الإمارة والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾(2) .

---

(١) سورة التوبة الآيتان : ٣٤ - ٣٥.

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٧٥ .

١٣ ـ خالف فى جميع أموره ما أنزل الله وسنة نبيه والخليفتين من قبله والله يقول: ﴿ومن لم يحكم بماأنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1] وقد وصفهم الله فى نفس السورة فى الآية ٤٥ بأنهم «الظالمون» كما وصفهم بـ «الفاسقون» فى الآية ٤٧ من نفس السورة، وقال عز من قائل: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾[2] وقال عز من قائل ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾[3] وقال: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء﴾[4] وقال ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا﴾[5] وقال ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٤ . (٢) سورة النساء الآية: ١١٥. (٣) سورة هود الآية: ١٨.
(٤) سورة آل عمران الآية: ٢٨. (٥) سورة النساء الآية: ١٤٤ .

من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾[1].

فلما رأى المسلمون ذلك لم يغتنموا عثرته ولا زلته .. بل أمروه بالرجوع إلى الحق ، فإن رجع وإلا قاتلوه عليه ، كما قال عز من قائل : **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾**[2].

فعلم المسلمون أن طاعته على إحداثه لا تجوز ولزمهم الإنكار عليه والتبيين له ، فساروا إليه من أطراف البلاد مع من كانوا فى المدينة ، وأزواج النبى ﷺ يحرضن عليه ، وخرجت عائشة رضى الله عنها بمصحف كان معها وهى تقول [أشهد بالله أن عثمان كفر بما فى هذا المصحف] .

وقد اجتمع الناس عليه وذكروه بما ارتكب من المعاصى ، فزعم أنه يعرف ما يقولون وأنه يتوب إلى الله ويرجع إلى الحق ، فرضى المسلمون بقوله واعترافه وتوبته إلى الله

---

(١) سورة هود الآية ١١٣ .   (٢) سورة التوبة ١٠٥ .

وقبلوا منه .. فقد كان يلزمهم ألا يربوا التوبة على أهلها ، ثم تفرق الناس من عنده على الذى أعطاهم من التوبة من الذنوب ، فألحقهم بريدا فى آثارهم ، وكتب إلى عماله : « إن أتوكم ليلاً فلا يصبحوا، وإن أتوكم نهاراً فلا يمسوا » فأظهر الله كتابه بيد خادمه وعليه ختمه بخاتمه ، فرجعوا إليه وقالوا :

«كنا نتهمك قبل ذلك فى دين الله ، فصار من أمرك وأمرنا أن نتهمك فى دين الله وفى دمائنا ، فاعتزل أمرنا.. فأبى عليهم وزعم أنه لا يخلع سربالاً سربله الله إياه ، يعنى الملك ، فاتخذ مال الله وملكه مأكلة كفعل الميراث ، واستجاش بأحبابه وأهل بيته... وجعل المسلمون يناشدونه بالله ويذكرونه ، فأبى إلا عتواً وجوراً ، وكره المسلمون أن يبدأوه بالقتال حتى بدأ رجل من أصحابه فرمى رجلا من المسلمين يقال له « دينار بن عياض » فقتله ، فطلبوا إليه أن يقيدهم بقتيلهم فأبى وامتنع وقال «لا أقتل لكم رجلا ينصرنى وأنتم تريدون قتلى » فلما

علموا أنه قد امتنع .. حملوا عليه وقاتلوه عند ذلك .

يستطرد بعد ذلك فيذكر حصار عثمان - رضى الله عنه - في الدار ومقاتلته حتى قتل فيقول :

اقتتل القوم قتالاً شديداً ، وعلى بن أبى طالب فى مسجد رسول الله ﷺ وعليه السلاح وهو يحرض الناس على القتال ، وطلحة بن عبيد الله فى جماعة من الناس وعليه السلاح عند باب القصر وهو يحث المسلمين على الدخول عليه ، ولم يزل الناس يقتتلون حتى فتح « عمرو ابن حزم الأنصارى »باب داره، وهى التى جنب دارعثمان، بعد أن حاصروه ما يزيد على شهر ، ثم نادى عمرو بن حزم الناس وقال : يا معشر المسلمين ، هلموا فادخلوا عليهم من دارى ، فدخلوا عليهم من داره فقاتلوه فى جوف الدار حتى انهزموا ، وخلى بينهم وبين باب الدار فخرجوا هرباً فى سكك المدينة ، فلم يغنموا لهم مالا ولا سبوا لهم ذرية .

يواصل المؤلف روايته فيتحدث عن قتل عثمان بن عفان وعن الذين حاصروه وتولوا قتله، وينقل عن محمد بن مسلمة

الأنصارى - أحد البدريين - قوله عن يوم مقتل عثمان :

« ما رأيت يوما أقر للعيون ولا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم » ثم يذكر أن جثته - رضى الله عنه - رميت على مذبلة المدينة ثلاثة أيام لم تدفن إلى أن أذن « على » لمن طلبوا منه ذلك ، لكنه اشترط ألا يدفن مع المسلمين فى مقابرهم ، وقد قعد له الناس فى الطريق بالحجارة عندما رغب أهله فى دفنه بمكان كان اليهود يدفنون فيه موتاهم ، وقد رجمه الناس فى سريره وهموا بطرحه وهم يقولون « نعثل نعثل » فعلم على بن أبى طالب ، فأرسل إلى الناس ومنعهم حتى دفن فى « حش كوكب » ولما تولى « معاوية بن أبى سفيان » أمر أهل المدينة أن يدفنوا فيه موتاهم حتى تتصل بمقابر المسلمين ، وكان دفنه بين المغرب والعتمة ، ولم يحضر دفنه إلا ثلاثة من مواليه ومروان بن الحكم وابنته الخامسة ، وكانت كلما رفعت صوتها تندبه أخذ الناس الحجارة وقالوا « نعثل نعثل » فكادوا أن يرجموها .

بعد ذلك يورد المؤلف اعتراضاً مضمونه أنه قد يقال إن علياً لم يرض بقتل عثمان ، وكذلك المهاجرون والأنصار ، وأنهم إنما غلبوا عليه وأنه قتل مظلوماً ، ويرد على ذلك بقوله : لو كان عثمان قتل مظلوما ماوسع على بن أبى طالب ولا المهاجرون والأنصار وأهل المدينة إلا أن يغضبوا لقتل خليفتهم وهو بين أظهرهم ، ولو شاءوا لمنعوه بأطراف أرديتهم ؛ لأنهم يغضبون للأمر اليسير من معصية الله ، فكيف لا يغضبون لقتل خليفتهم ؟ وكيف يسع عليا والمسلمين ذلك وهم غير عاجزين؟ فقد صح عنهم أنهم أنفذوا كلمة الحق فى قتله وهم بين فاعل ، وراض ، وقد قال النبى ﷺ [**لا تجتمع أمتى على ضلال**] .

ولم يفت صاحب الكتاب أن يعضد كلامه ببعض أبيات من شعر الشعراء كلما عرض لشىء مما سبق ، ولنضرب مثلا ، فهو عندما يتهم « عثمان » رضى الله عنه بتحريق المصاحف يتبع ذلك ببيتين للحجاج بن عمرو الأنصارى يقول له فيهما :

أتيت بتحريق الكتاب عظيمة

تعرضت فيها للردى والمهالك

أتحرقه من بعد ما قد أتى به

من الله جبرائيل خير الملائك ؟

ويذكر لشاعر اسمه عبد الرحمن حنبل بن مليل الجمحى أبياتا فيها مساوىء عثمان - رضى الله عنه - منها :

دعوت الطريد فأدنيته

خلافا لما سنه المصطفى

ووليت قرباك أمر العباد

خلافا لسنة من قد مضى

وأعطيت مروان خُمس الغنيمة

أثرته وحميت الحمى

ومالا أتاك به الأشعرى

من الفىء أعطيته من دنا

وهكذا لم يدع وسيلة يعزز بها مفترياته وأكاذيبه إلا استغلها ، ثم هو بعد ذلك كله يسأل الله - عز وجل -

الثبات على طاعته !!

هذا وبرغم حرص ناشر النص على التعريف بكافة الأعلام والأماكن واستشارة كافة المصادر والمراجع، وتحقيق وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية ، إلا أنه لم يشر ـ ولو بجملة قصيرة ـ لموقف أهل السنة وجمهور المسلمين من هذه الأباطيل التى ألصقت بعثمان ـ رضى الله عنه ـ ظلماً ، وهو الشيء الذى قد يوحى لبعض الناس أن المسألة ليس فيها إلا قولاً واحداً ، وأن التهم ثابتة على الخليفة الثالث ـ رضوان الله عليه ـ بلا نكير ولا خلاف ، وهذا هو الذى دفعنى إلى التفكير فى التعليق على ما ذكر صاحب هذا الكتاب عندما قرأته لأول مرة منذ عدة سنوات ، إحقاقاً للحق وإنصافاً للخليفة المظلوم ، فكانت هذه الصفحات التى نقدمها اليوم لجمهور القراء(١)

(١) لا يدخل فى نطاق هذا البحث التعريف بالخليفة الثالث رضى الله عنه ولا الحديث عنه وعن إسلامه وفضائله ومآثره ومكانته وخدماته للإسلام قبل الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة ولا عما قدمه للإسلام أثناء رئاسة الدولة =

وأظن أن من واجبنا من بعد أن أدينا للمؤلف والناشر حقهما - فيما نرى - أن نبدأ بالتعليق على ما جاء فى الكتاب ، فنبين - إن شاء الله - موقف علماء السلف من التهم المذكورة ، اعتمادا على أوثق المصادر وأصحها وفقاً للترتيب الذى أوردناها عليه .

****

**

= الإسلامية وتوليه إمرة المؤمنين ويمكن فى ذلك الرجوع إلى :

- الذهبى : محمد بن أحمد بن عثمان الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام ص ١١٦ ص ١٨٤ بيروت سنة ١٩٨٨ .

- السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن .

تاريخ الخلفاء ص ١٤٧ - ١٦٥ من نشرة محمد محى الدين عبد الحميد نسخة مصورة فى الباكستان بدون تاريخ .

- حسن : حسن إبراهيم حسن .

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .

جـ ١ ص ٣٦٢ وما بعدها القاهرة ١٩٦٤.

رد مفتريات المؤلف ضد عثمان
رضى الله عنه
أولاً: تعطيل حدود الله

لقد قرر العلماء أن هذا الذى مر كله باطل سندا ومتناً، وإليك البيان:

أما التهمة الأولى، وهى تعطيل عثمان - رضى الله عنه - حدود الله - عز وجل - لأنه لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان، فذلك باطل، فقد تشاور عثمان - رضى الله عنه - مع الصحابة فى هذا الأمر وانتهى إلى ما اتخذه من قرار بعد ذلك التشاور.

يروى الطبرى أن عثمان - رضوان الله عليه - جلس إلى جانب المسجد، ودعا عبيد الله - وكان محبوساً فى دار سعد ابن أبى وقاص وهو الذى نزع السيف من يده - فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار: أشيروا علىَّ فى هذا الذى فتق فى الإسلام مافتق، فقال علىٌّ «أرى أن

تقتله . فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، إن الله أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، وقال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها فى مالى (1) .

وكان هذا الرأى من عثمان عين الحكمة ، فهو لم يعف عن عبيدالله من جريرة جريمته.. ولم يبرئه من قتل الهرمزان وابنة أبى لؤلؤة عمدا فى غير إثم وبغير حق .. وقد استراح معظم الناس لرأى الخليفة ـ رضى الله عنه ـ (2) .

ويذكر الطبرى نفسه عن أبى منصور قال :

سمعت القماذبان (ابن الهرمزان) يحدث عن قتل أبيه

---

(1) الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير .
تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبرى ، حوادث سنة ٢٣ هـ جـ ٥ ص ٤٠ طبعة مصر جـ ٤ ص ٢٣٩ طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت لبنان .

(2) انظر : د . هيكل : الدكتور محمد حسين ، بين الخلافة والملك ، عثمان بن عفان ص ٥١ ، القاهرة ١٩٨١م .

قال : ... » فلما ولى عثمان دعانى فأمكننى منه (من عبيد الله بن عمر بن الخطاب) ثم قال : يا بنى هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله ، فخرجت به وما فى الأرض أحد إلا معى ، إلا أنه يطلبوه إلىّ فيه ، فقلت لهم ، إلى قتله ؟ قالوا نعم ، وسبوا عبيد الله ، فقلت : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا لا ، وسبوه ، فتركته لله ولهم ، فاحتملونى ، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم [1] .

وقد اعتقد ابن الهرمزان ، مثلما اعتقد غيره ، أن دم أمير المؤمنين عمر - رضى الله عنه - فى عنق أبيه ، وأن أبا لؤلؤة لم يكن إلا آلة فى يد هذا الفارسى الحاقد .

وهكذا تقرر رواية الطبرى الأولى أن عثمان - رضى الله عنه - عفا عن القاتل ، لأنه ولى دم القتيل الذى لم يكن له ولى ، وفقا لقاعدة « السلطان ولى من لا ولى له » ،

---

(١) المصدر السابق ، حوادث سنة ٢٤ هـ .

جـ ٥ ص ٤٢ - ٤٤ من طبعة مصر ، ج ١ ص ٢٨٠ طبعة أوروبا ، جـ ٤ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم .

وجعل للقتيل دية احتملها من ماله الخاص .

وتذكر الرواية الثانية أن « الهرمزان » كان له ابن اسمه « القماذبان » وأنه عفا عن القاتل بعد أن أكد له الصحابة - رضوان الله عليهم - حقه في القصاص ، لكنه آثر العفو الذي حبب الله سبحانه إليه ورغب فيه في مثل قوله تعالى : ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ [1] .

على أن الرواية تؤكد فعلا أن الهرمزان « سعى في قتل عمر- رضي الله عنه- وأنه حمل الخنجر وظهر تحت ثيابه ، ذلك ماوراه سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن أبي بكرالصديق قال غداة طعن عمر : مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس ومعه جفينة « وكان نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن أبي وقاص ، والهرمزان ، فلما رهقتهم أي ضيقت عليهم ، ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، فانظروا بأي شيء قتل؟ وخرج

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٧ .

فى طلبه رجل من بنى تميم ، فرجع إليهم التميمى ، وقد كان ألظ بأبى لؤلؤة - يعنى أمسكه - منصرفه عن عمر حتى أخذه وجاء بالخنجر الذى وصف عبدالرحمن بن أبى بكر، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر ، فأمسك حتى مات عمر ، ثم اشتمل على السيف ، فأتى الهرمزان فقتله [1] .

أضف إلى هذا أن عبد الله بن عباس - رضى الله عنه - كان يرى جواز قتل علوج الفرس فى المدينة بسبب ما أحدثوه من الفساد . يقول ابن تيمية :

قد قال عبد الله بن عباس لما طعن عمر ، قال له عمر : كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، فقال - أى ابن عباس - إن شئت أن تقتلهم ، فقال له عمر : كذبت ، أفبعد أن تكلموا بلسانكم ، وصلوا إلى قبلتكم ؟قال ابن تيمية : فهذا ابن عباس - هو أفقه من عبيد الله بن عمر وأدين وأفضل بكثير - يستأذن عمر فى قتل علوج الفرس

---

(١) الطبرى . المصدر السابق حوادث سنة ٢٣ هـ جـ ٥ ص ٤٢ من طبعة مصر ، جـ ٤ ص ٢٤٠ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم .

مطلقا يعنى الذين كانوا بالمدينة لما اتهموا بالفساد.. أعتقد جواز مثل هذا ... وإذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر ، كان من المفسدين فى الأرض المحاربين ، فيجب قتله لذلك ، ولو قدر أن المقتول معصوم الدم يحرم قتله ، لكن لو كان القاتل متأولا يعتقد حل قتله لشبهة ظاهرة ، صار ذلك شبهة تدرأ عن القـاتل ، يعنى عبيد الله بن عمر [1].

ويعلق على ذلك الشيخ محب الدين الخطيب – ضمن تعليقاته على كتاب « العواصم من القواصم » للقاضى أبى بكر بن العربى فيقول :

« وإلى هذا ذهب عثمان – رضى الله عنه – فى اكتفائه بالدية واحتملها من ماله الخاص ، ولو كان مقتل أمير

---

(١) ابن تيمية: أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم : منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية جـ ٣ ص ٢٠٠ جـ ٦ ص ٢٧٨ من نشرة أ . د . محمد رشاد سالم، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - حدث بجميع ظروفه فى أى بلد بالغاً ما بلغ من الحضارة ، ما كان من أهله مثل ما كان من الصحابة فى تسامحهم إلى حد المطالبة حتى بقتل ابن أمير المؤمنين المقتول بيد الغدر والنذالة والبغى الذميم [1] .

وقد عرض الشيخ صادق إبراهيم عرجون لهذه القضية من مختلف جوانبها وعقب عليها بقوله :

إذا كان المنحرفون على عثمان قد رضوا من أمير المؤمنين على ـ كرم الله وجهه ـ ألا يحكم فى قتلة عثمان ـ رضى الله عنه ـ وهو ـ من هو ـ بحكم قبل التثبت والتحقيق ، أفلا يرضون من عثمان ببعض هذا فى ابن عمر قاتل الهرمزان وجهينة ، وهما من هما ، وقد ثبت عند عبيد الله أنهما اشتركا فى قتل أبيه ؟ هذا تحكم فوق

---

(١) ابن العربى : القاضى أبو بكر : العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى - ﷺ - ص ١٠٦-١٠٨ ، نشر وتعليق محب الدين الخطيب ، طبع لاهور ، الباكستان ، ذو القعدة ١٣٧١هـ .

طاقة العقل إدراك سره [1].

أما الأستاذ الدكتور طه حسين فيرى أن إمضاء الحكم على النحو الذى اتخذه الخليفة عثمان سياسة رشيدة ، فلم يبعد من قال من المسلمين يقتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ، ثم هى قضية دين أولا فمن حق الإمام أن يعفو ، وله بحكم الولاية أن يعفو ، والإمام حين عفا لم يعطل حدا من حدود الله ولم يهدر دم الهرمزان وصاحبيه ، وإنما أدى ديتهم من ماله لبيت مال المسلمين الذى كان يرثهم وحده ، والله قد حبب العفو وجزى عليه » وحتى إذا كان قتل القاتل واجباً ، وكان قتله إلى الأئمة ، فافتات عبيد الله بقتله ، فإن للإمام أن يعفو عمن افتات عليه » [2].

---

(١) عرجون : صادق إبراهيم ، عثمان بن عفان ص ١٦٣ ، القاهرة ١٩٤٧م ونفس الكلمات عند الشيخ محمد الصادق عرجون . الخليفةالمفترى عليه ، عثمان بن عفان ص ١١٠ ، القاهرة ضمن سلسلة مذاهب وشخصيات بدون تاريخ .

(٢) انظر فى ذلك ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ٦ ص ٢٨٤ الطبعة الثانية بتحقيق محمد رشاد سالم .

فقد تمنى الدكتور طه حسين أن لو كان فَرضَ عثمان الديةَ على القاتل أو لو أمسك عبيد الله فى السجن تأديبا له ولم يدعه هكذا حـراً طليقاً ... لو فعل الخليفة ذلك ما كان هناك حرج من عدم القصاص من ذلك الذى أراق الدم واستخف بالسلطان استجابة للحفيظة الجاهلية ، ولعلم فتيان قريش أن دماء المسلمين والذميين أعظم حرمة عند الله وعند السلطان من أن تراق بغير الحق ثم لا يعاقب من أراقها... وإنما يخلى بينه وبين الحياة... وبين طيبات الحياة يستمتع بها فى غير رهب ولا خوف... (١).

وقد قرر ابن تيمية أن عثمان - رضى الله عنه - عفا عن القاتل ، ورأى أن قدر الدية يُعْطى لآل عمر : لما كان على عمر من الدين ، فإنه كان عليه ثمانون ألفا ، وأمر أهله أن

---

(١) حسين : الأستاذالدكتور طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ١ عثمان ص ٦٦ - ٦٨ ، وكذلك ص ١٧٧ ، ١٧٨ القاهرة ١٩٤٧م .

يقضوا دينه من مال عصبته يعنى عاقلته بنى عدى وقريش ، فإن عاقلة الرجل هم الذين يحملونه كله ، فإذا أعان بها فى دين عمر ، كأن هذا من محاسن عثمان التى يمدح بها لا يذم [1] .

بعد هذا كله أين تعطيل عثمان - رضى الله عنه - للحدود وعدم أخذه القود من عبيد الله بن عمر لقتله الهرمزان ؟!! .

« ومن العجب أن دم « الهرمزان » المتهم بالنفاق والمحاربة لله ورسوله والسعى فى الأرض بالفساد تقام فيه القيامة ، ودم عثمان يجعل لا حرمة له ، وهو إمام المسلمين المشهود له بالجنة ، الذى هو وإخوانه أفضل الخلق بعد النبيين [2] .

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ٦ ص ٢٨١ ، ٢٨٤ الطبعة الثانية بتحقيق أ.د. محمد رشاد سالم.

(٢) ابن تيمية : المرجع السابق جـ٦ ص ٢٨٦ من نفس الطبعة الثانية بتحقيق أ.د. محمد رشاد سالم.

ثانياً: عثمان يولى أقاربه

ننتقل إلى التهمة التى تقول إن عثمان - رضى الله عنه - عزل خيار المسلمين ، وولّى السفهاء من قرابته ، فلننظر فى هؤلاء الذين تولوا أعمالا لعثمان - رضى الله عنه - .

أولهم : معاوية بن أبى سفيان ، ولم يتول لعثمان وحده وإنما جمع له عمر - رضى الله عنه - الشام كله ، بل إن الصديق - رضوان الله عليه - ولى أخاه يزيد فاستخلفه ، ثم أقره عمر « فتعلق عثمان بعمر وأقره » .

فيزيد بن أبى سفيان وأخوه معاوية ، كانا من رجال دولة الصديق - رضى الله عنه - وقبل ذلك كان معاوية أحد الذين استعملهم رسول الله ﷺ كما ولى أخاه يزيد [1]، وقدرأى رسول الله ﷺ فى بنى أمية حصافة فى سياسة الناس ، فجعلهم حكاماً على كثير من البلاد الإسلامية ، قال عمر بن عبد العزيز : توفى رسول الله ﷺ وأربعة من بنى

---

(١) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٤٨ مطبعة مصر سنة ١٣٥٠ هـ .

أمية عماله « عتاب بن أسيد على مكة ، و« أبان بن سعيد » على البحرين » ، و « خالد بن سعيد » على صنعاء ، « وأبو سفيان بن حرب » على نجران ، وظل كثير من بنى أمية أمراء على البلاد فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر...[1] فكيف يلام عثمان على تولية من ولاه من قبل عمر ، ومن تولى لأبى بكر قبل عمر، ومن تولى بعض عمل رسول الله ﷺ ؟!.

يقول ابن تيمية :

« كانت سيرة معاوية مع رعيته من خير سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ، ويلعنونكم» وكان

(١) انظر : جاد المولى : محمد أحمد جاد المولى بك :إنصاف عثمان ، ص ٢٣ طبع مصر سنة ١٩٤٤م. عرجون : الشيخ صادق إبراهيم ، عثمان بن عفان ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ القاهرة ١٩٤٧م.

معاوية تحبه رعيته وتدعو له وهو يحبها ويدعو لها [1].

أما عبد الله بن عامر بن كريز فقد ولاه عثمان - رضى الله عنه - لأنه كما قال : « كريم العمّات والخالات » ، فأم أبيه أروى بنت كريز أمها البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ ، وكان كريما شجاعا كثير المناقب ، افتتح كل خراسان وأطراف فارس وسجستان وكرمان حتى بلغ أعمال «غزنة» وقضى على « يزدجرد »آخر أباطرة الفرس فى عهد عثمان - رضى الله عنه - ولعل هذا هو سر حقد بعض الفرس الشعوبيين عليه وعلى الخليفة الثالث .

يقول عنه ابن كثير « إنه أول من اتخذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله الحرام وأجرى إليها الماء المعين » [2].

ويقول عنه ابن تيمية « إن له من الحسنات والمحبة فى

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ٣ ص ١٨٩ من الطبعة الأولى جـ٦ ص ٢٤٦ . ٢٤٧من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد وكذلك ص.٣٦ من نفس الجزء والطبعة.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٨ ص٨٨ ،طبع مصر ١٩٣٢م .

قلوب الناس ما لا ينكر »[1].

وأما الوليد بن عقبة فقد قال المغرضون إن عثمان - رضوان الله عليه - ولاه ؛ لأنه أخوه لأمه ، إذ أن أمه هى أروى بنت كريز ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب ، ولكن عثمان - رضى الله عنه - دحض فريتهم وقال : ما وليت الوليد لأنه أخي، وإنما وليته ؛ لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه، فجدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى المذكورة أم حكيم توأمة عبد الله أبى رسول الله ﷺ. ثم ألم يتولَّ الوليد للصديق من قبل ؟ لقد كان موضع سره ، وهو الذى حمل رسائل أبى بكر إلى خالد بن الوليد فى موقعة المذار مع الفرس سنة ١٢هـ ، ثم وجهه مددًا إلى عياض بن غنم الفهرى[2].

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ ٣ ص ١٨٩ ، ١٩٠ جـ ٦ ص ٢٤٨ من الطبعة الثانية بتحقيق أ. د محمد رشاد سالم.

(٢) انظر : الطبرى ، تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٧ ، ص ٢٢ من طبعة مصر ، ج ٣ ص ٣٥١ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ١٢ هـ .

وفى سنة ١٣هـ ولاه الصديق - رضى الله عنه - على « صدقات قضاعة » ، ولما بدأت فتوحات الشام كان قائداً على القوات الإسلامية التى اتجهت ناحية شرق الأردن[1]، وفى سنة ١٥هـ كان أميراً على بنى تغلب وعرب الجزيرة ، يحمى ظهر المجاهدين فى بلاد الشام حتى لا يؤتون من خلفهم ، وقد انتهز فرصة وجوده فى هذه المناطق المليئة بنصارى القبائل العربية وأخذ يدعوهم إلى دين الله بالحسنى ، لكن « تغلب »حاولت أن تتمرد عليه؛ لنشره الدعوة الإسلامية بين شبابها وأطفالها ، فغضب غضبة مضرية وهدد وتوعد ، فخاف الخليفة عمر- رضى الله عنه - أن يبطش بنصارى تغلب ، فيفلت من يده زمامهم ، وهم الذين يحاربون مع المسلمين حمية للعرب ، لذلك نحّاه عمر- عن منطقتهم. وبسبب هذا الماضى المجيد كله ولاه عثمان رضى الله عنه على الكوفة، فكان خير ولاتها عدلا

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٩ ، ٣٠ من نفس الطبعة ، ج ٣ ص ٣٩٠ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ١٣ هـ.

ورفقا ، واتجهت جيوشه إلى آفاق المشرق فاتحة مظفرة[1].

فالوليد بن عقبة ولاه عثمان رضى الله عنه لكفاءته وحسن إدارته للأعمال وليس للقرابة وحدها.

وقد ذكر بعض المفسرين أن الله تعالى سمى « الوليد » فاسقاً فى قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ... ﴾[2] . قالو إن النبى ﷺ أرسله إلى بنى المصطلق ، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا ، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فتثبت فى أمرهم ، فبين بطلان قوله وقيل غير ذلك[3] .

وقد شك الأستاذ محب الدين الخطيب فى هذه القصة ، ليس لأنه يستبعد حدوث الفسق من واحد غير معصوم ،

---

(1) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٥٥ من طبعة مصر ، ج٤ ص ٥١ وما بعدها من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٢٦ هـ .

(2) سورة الحجرات الآية : ٦ .

(3) انظر فى ذلك ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ٦ ص ٤٠ الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد سالم .

لكن استبعادا لأن يكون الموسوم بالفسق فى صريح القرآن محل ثقة رجلين لا نعرف فى أولياء الله عزوجل بعد رسول ﷺ من هو أقرب إلى الله منهما وقد انتهت الدراسة إلى أن رواية سبب نزول هذه الآية موقوف على مجاهد أوقتادة أو ابن أبى ليلى أو يزيد بن أبى رومان ، ولم يذكر واحد منهم أسماء من رووا له هذا الخبر على مدار ما يزيد على مائة سنة منذ أيامهم إلى زمن الحادثة، ومن هنا فإنه لا يجوز شرعا وتاريخا الحكم بصحة مثل هذه الأخبار المنقطعة حسبما يرى علماء الجرح والتعديل ، فإذا أضفت إلى هذا أن الوليد حين جرت حادثة بنى المصطلق التى نزلت فيها الآية ، كان حدثاً صغير السن ، أدركت أن كل ذلك كذب لم يصح شىء منه ، وأنه لا يصح تفسيق رجل بمثل هذا الكلام ، فكيف برجل من أصحاب النبى رسوله ﷺ؟! (1).

ولعل هذا هو الذى دفع باحثاً معاصراً هو الأستاذ

---

(1) انظر تفاصيل أكثر فى العواصم من القواصم من ٩٠- ٩٢ وتعليقات الأستاذ محب الدين الخطيب بنفس الصفحات .

الدكتور طه حسين إلى التشكيك فى غالب ما نسب إلى الوليد، ويقرر أن سياسته فى الكوفة فيها كثير من الغناء وحسن البلاء ، فهو لم يقصر فى سد الثغور والإمعان فى الفتح ، وإنما بلغ من ذلك غاية عرفت له ، وحدَّث الناس بها فى حياته وبعد موته ، وهو قد ساس الكوفة سياسة حزم وعزم ومضاء ، فأقر الأمن ، وضرب على أيدى المفسدين[1]

أما شرب الوليد بن عقبة الخمر وإقامة الحد عليه لذلك ، فقد سبق أن قام الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بإقامة حد الخمر على أميره بالبحرين « قدامة ابن مظعون » ثم عزله أو صالحه . وفيما يتعلق بالوليد فقد تعرض لمؤامرة ذكرها الطبرى مفصلة فى حوادث سنة ٣٠ هـ قام بها جماعة من أهل الشر والفساد[2] لقد كان الوليد حاكماً مثالياً على الكوفة ، وقد بقى بها خمس سنين لا يحول بينه وبين الناس حائل ، بل يستقبل من

(١) الفتنة الكبرى: عثمان ص٩٣-٩٦.

(٢) انظر ج٤ ص ٢٧٢ - ٢٧٧ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم.

يعرف ومن لا يعرف فى أى وقت من ليل ونهار ، وقد أقام الوليد الحد على بعض أبناء الأشرار، فوقف آباؤهم يترصدون الأذى به ، وبثوا عيونهم وجواسيسهم يتقربون حركاته وهو الذى بابه مفتوح دائماً ، وقد رأى هؤلاء عند الوليد شاعراً كان نصرانياً فظنوا أنه لابد أن يكون ممن يشربون الخمر والوليد يكرمه بذلك . تصادف هذا مع توجه بعض مَنْ نحّاهم الوليد عن الحكومة بسبب فسادهم ، فتوجه الجميع ناحية المدينة المنورة ، يشكونه للخليفة عثمان - رضى الله عنه - ويطلبون عزله وبينما كان هؤلاء بالمدينة المنورة ، دخل الموتورون إلى دار الوالى ضمن من دخل ، ثم بقوا حتى خرج الناس وتنحى الوليد ليستريح ، فسرقوا خاتمه ، وسافر اثنان منهما تواً إلى المدينة وتقدما للشهادة على الوليد بأنه يشرب الخمر ، فسألهما عثمان - رضى الله عنه ـ كيف رأيتماه ؟ قالا : كنا من غاشيته فدخلنا عليه وهو يقىء الخمر ، فقال عثمان : ما يقىء الخمر إلا شاربها ، وجىء بالوليد من

الكوفة ، فحلف لعثمان وأخبره خبرهم فقال عثمان ـ رضى الله عنه ـ « نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار » .

أما ما يتعلق بالزيادة فى الصلاة ، فلم يرد فى الشهادة التى أداها هذان الموتوران ذكر للصلاة أصلاً ، فضلاً عن أن تكون اثنتين أو أربعاً، والذى أضاف أن الوليد صلى ركعتين ثم قال أزيدكم ؟ هو الحصين بن المنذر ، أحد أتباع الإمام على - كرم الله وجهه - ولم يكن حصين هذا من الشهود ولا كان بالمدينة وقت الحادث المزعوم ، ثم إنه لم يسند هذا العنصر إلى إنسان معروف لا فى رواية صحيح مسلم أو غيره ، فلا عبرة بهذا الجزء من الكلام .

وهكذا نرى أن قرابة الوليد من عثمان التى يقال إن الخليفة حاباه من أجلها ، إنما كانت وراء تساهل عثمان - رضوان الله عليه - فى عزله ، وكانت وراء القسوة عليه ؛ لئلا يقول السفهاء : إن له هوى فى ذوى قرابته (1) .

---

(1) انظر : ابن العربى : العواصم من القواصم ص ٩٢-٩٨ وما بها من تعليقات للأستاذ محب الدين الخطيب .

أضف إلى هذا أن أهل الكوفة معروفون بكثرة الشكوى من ولاتهم ، لقد ولى عثمان سعيد بن العاص . فشكو منه ، كذلك تولى عليهم سعد بن أبى وقاص وأبو موسى الأشعرى وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة ، فشكوا من كل هؤلاء وسيرهم فى هذا مشهور[1] .

ومن قبل وفى عهد عمر بن الخطاب ، شكوا إليه من واليهم سعد بن أبى وقاص ، فعزله الخليفة وولى عليهم عمار بن ياسر ، فشكوه أيضاً فعزله وولى عليهم المغيرة ابن شعبة .

فإذا تركنا الوليد إلى مسئول عثمانى آخر قريب للخليفة هو مروان بن الحكم ، رأينا أننا أمام رجل عدل عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين ، وله عدة أحاديث فى الصحاح ، وهو من أقران ابن الزبير ، فقد روى عنه من

---

(١) انظر ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٦ ص٣٦ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد سالم .

الصحابة سهل بن سعد الساعدى وروايته عنه مدونة عند البخارى وغيره ، وروى عنه من كبار التابعين زين العابدين على بن الحسين السبط (١) ، ويوجد ذلك مُفَصَّلا عند السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى عند ترجمته للغوى الشهير أبى منصور محمد بن أحمد بن الأزهر صاحب « تهذيب اللغة » ٢٨٠ - ٢٨٢ وممن نص الحافظ ابن حجر على روايتهم عن مروان « سعيد بن المسيب » رأس علماء التابعين وغيره ممن ورد ذكرهم عند الإمام أحمد فى مسنده وعند غيره ، بل روى عنه من كانت فيه نزعة تشيع وهو مروان بن عبد الرزاق إمام أهل اليمن، ولمروان - رضى الله عنه - عناية كبرى بسنة رسول الله ﷺ (٢) .

فهل بعد هذا كله يقال إن عثمان - رضى الله عنه - لم

---

(١) انظر المرجع السابق ج٢ ص ١٢٣ ص١٨٩ من الطبعة الأولى ،ج٦ ص ٢٤٥ من الطبعة الثانية وتعليقات أ.د محمد رشاد سالم .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٦ ص ٢٩٩ .

يولهم إلا لقرابته لهم ، وأى حرج على المرء أن يولى قريبا له أو أخاً ما دام ثقة كفئاً ؟ .

أما أن عثمان رضى الله عنه ، قد ولى عبد الله بن سعد ابن أبى سرح وهو الذى ارتد بعد الإسلام ، فذلك نعم ، لكن الرجل تاب ورجع إلى الحق . وشفع له عثمان عند النبى ﷺ فقبل شفاعته وبايعه ، ومعلوم أن الذنوب ليست مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة ، وقد تاب الرجل توبة نصوحا وحسن إسلامه ، فأى لوم على عثمان إذا وثق فيه بعد أن عاد إلى الله ، ومرت سنوات اطمأن خلالها إلى حسن توبته وصادق إيمانه ؟ (1) .

يقول الأستاذ العقاد : لقد زعموا أن عثمان ولى القيادة لعبد الله بن أبى سرح ' لأنه أخوه من الرضاعة ، « والصحيح أن عبد الله بن أبى سرح كان أكفأ الكفاة فى قيادته ،وأنه انتصر حيث قاد جيشاً فى البر أو فى البحر،

---

(1) انظر ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ٦ ص ٢٥٨ . ٢٥٩ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد سالم .

ومع الروم أو مع أهل إفريقية » [1].

على أن عبد الله بن سعد كان والياً على صعيد مصر فى عهد عمر بن الخطاب يقول ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ١١٨: فتوفى عمر بن الخطاب ومصر على أميرين ، عمرو بن العاص بأسفل الأرض وعبد الله بن سعد أبى سرح على الصعيد » [2].

وإذا كان بعض الشيعة والخوارج يلوم عثمان - رضى الله عنه - لأنه ولى قرابته ، فلماذا لا يتوجهون بالشيء نفسه إلى الإمام « على » كرم الله وجهه ؟ لقد كان معظم عماله من ذوى قرباه، فعبيد الله بن عباس كان واليه على اليمن ، وكان على مكة والطائف قثم بن العباس ، أما المدينة فقد ولى عليها سهل بن حنيف أو ثمامة بن العباس (على خلاف فى ذلك) وكان واليه على البصرة عبد الله بن العباس بن

---

(١) العقاد : الأستاذ الكبير عباس محمود ، ذوالنورين ، عثمان بن عفان ص ١٥٢، القاهرة ١٩٧٧م.

(٢) انظر أيضا الكندى: الولاة والقضاة ص ١١ .

عبدالمطلب ، كما ولىَّ على مصر ربيبه محمد بن أبى بكر[1].

أضف لهذا ما قررناه من قبل ونؤكده من أن بنى أمية استعملهم رسول الله ﷺ فى حياته ، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بنى عبد شمس ، لقد كان واليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على مكة عتاب بن أسيد بن العاص ، واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية واستعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقات مذحج وعلى صنعاء واليمن وعين عثمان بن سعيد بن العاص على تيما وخيبر ، وولى أبان ابن سعيد بن العاص على البحرين بعد أن كان مسئولاً عن بعض السرايا ، ولهذا صح لعثمان رضى الله عنه قوله أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبى ـ ﷺ ـ ومن جنسهم ومن

---

(1) انظر ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٦ ص١٨٤ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد سالم ، القاهرة ١٩٨٩م .

قبيلتهم وكذلك أبو بكر وعمر بعده ..(١).

وبعد هذا كله ، أليس من حق رئيس الدولة أن يختار من يثق فيهم ويطمئن إليهم ويعرف قدراتهم ؟ أليست الولاية اجتهاد حسب تعبير الأقدمين ؟ ألم يعزل عمر - رضى الله عنه - سعد بن أبى وقاص ، وهو من هو ، وولى من بعده سنة ٢١هـ عبد الله بن عبد الله بن عتبان ثم زياد ابن حنظلة ومن بعدهما عمار بن ياسر ؟ (٢) عثمان - رضى الله عنه - فعل نفس الشىء ، أقر من كانوا قد تولوا قبله

---

(١) المرجع السابق ج٢ ص ٢٢٦- ٢٢٧ من الطبعة الأولى ج٦ ص ١٩٢- ١٩٤ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد سالم .

(٢) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ج٤ ص ٢٤٦ وما قبلها من طبعة مصر ج٤ ص ١٢٢، ١٣٨ من طبعة محمد إبراهيم حوادث سنة ٢١هـ ، وانظر فى ذلك أيضا :

- ابن العربى : العواصم من القواصم ص ٨٧ وما بعدها وتعليقات الشيخ محب الدين الخطيب .

- الشيخ صادق إبراهيم عرجون : عثمان بن عفان ص ١٠٨ وما بعدها .

- الشيخ محمد الصادق عرجون : الخليفة المفترى عليه ، عثمان بن عفان ص ٧٢ وما بعدها .

مثل عمرو بن العاص ومعاوية وغيرهما ، وعزل من رأى عزله لشكاة أو استعفاء من غير شكاة ، حسبما قرر الطبرى نقلا عن أبى حارثة وأبى عثمان (١) .

« والواقع أن المؤرخ لا يستطيع أن ينكرسلامة قلب الخليفة الثالث وطهرضميره وبعده عن النفاق وسوء الظن بالناس ، وخلوصه من شوائب الفساد ، ولهذا لا يجب علينا أن نعجب حين نراه يحسن الظن بأقاربه إحسانا غريبا ويعتقد بهم الإخلاص وحسن الإدارة... (٢) لماذا إذن كل هذا اللوم وكل هذه الضجة على عثمان - رضى الله عنه - وهو لم يرتكب إمرا إذ عندما اختار من اختار لولايته من

---

(١) المصدر السابق ج٤ ص ٢٥٣ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٢٧ هـ . كذلك .

ابن الأثير : عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى .

الكامل فى التاريخ ج٣ ص ١٥١ - ١٥٣ حوادث سنة ٢٤ هـ بيروت سنة ١٩٦٥م .

(٢) أبو النصر : عمر ، عثمان بن عفان ، ضمن سلسلة خلفاء محمد ﷺ ص ١٣٤ ، بيروت ١٩٢٥م .

سبق أن استعملهم رسول الله ﷺ ومن بعده صاحبيه أو من يساويهم ؟ ثم هم بعد ذلك من أهل الكفاءة والغناء والقدرة على تدبير ما وكل إليهم من شئون القبيلة أو القرابة أو قدم الصحبة أو كبر السن - هل يمكننا أن نقول بعد كل هذا الذى قدمناه إن عثمان رضى الله عنه قد ولىَّ أقاربه ، فقط لأنهم أقرباؤه ولا شىء سوى ذلك ؟ إن فى هذا - إذا قيل - منتهى الظلم للخليفة المفترى عليه .

ثالثاً: تحريف القرآن وحرق المصاحف

فرية أخرى رمى بها عثمان ، رضوان الله عليه ، هى تحريفه كتاب الله عز وجل وتحريمه قراءة ابن مسعود وقراءة أبىّ بن كعب وأمره الناس أن يقرأوا القرآن على حرف واحد وتحريق ما عداه من المصاحف . ذلك كله قلب للحقائق وتقديم المكرمة فى صورة نقيصة وعيب . الحق أنه قد تحقق بما فعله عثمان رضى الله عنه وعد الله بحفظ كتابه الكريم فى قوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١) وعصم المسلمين من الفرقة والاختلاف حول قراءة كتاب الله عز وجل .

لقد روى الأئمة قصة جمع القرآن فى عهد الصديق - رضى الله عنه - عقب موقعة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب كما هو معروف (٢) وبقاء المصحف عند أبى بكر ثم عند

---

(١) الحجر الآية : ٩.

(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٣٤ - ٣٤٠ .

الفاروق عمر - رضى الله عنهما - طوال زمن خلافتهما ثم انتقاله بعد ذلك إلى حفصة بنت عمر إلى أن قَدِمَ حذيفة ابن اليمان - وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق - فحدَّث الخليفة عن اختلاف أهل الأمصار فى القراءة وطلب منه أن يدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى أم المؤمنين « حفصة » فبعثت بنسخة القرآن إلى عثمان - رضى الله عنه - فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا » ثم رد عثمان - رضى الله عنه - نسخة حفصة إليها وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه فى كل صحيفة ومصحف أن يحرق .

لقد انعقد الإجماع على أن ما قام به أبو بكر وعمر ،

ومن بعدهما عثمان - رضى الله عنهم - يعد من مفاخرهم ومن أعظم حسناتهم ، بل إن هذا الإجماع ورد على لسان الإمام على - كرم الله وجهه - حسبما يروى بعض علماء الشيعة - يذكر ذلك سويد بن علقمة فى قوله :

سمعت على بن أبى طالب يقول : أيها الناس ، الله ، الله ، إياكم والغلو فى أمر عثمان ،وقولكم حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ جمعنا وقال : ما تقولون فى هذه القراءة التى اختلف الناس فيها ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول : قراءتى خير من قراءتك وهذا يجر إلى الكفر ، فقلنا ما الرأى ؟ قال : أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد ، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا ، فقلنا : نعم ما رأيت[1].

أما ما روى من خلاف بين ابن مسعود وعثمان - رضى

---

(١) انظر الخطيب : الشيخ محب الدين : تعليقاته على العواصم من القواصم لابن العربي ص ٦٩ وما بها من مصادر ،وكذلك . ابن تيمية . منهاج السنة النبوية ج٦ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د . محمد رشاد سالم .

الله عنهما - حول قضية جمع الناس على قراءة واحدة ، وغضب ابن مسعود ولجاجته في الغضب من عثمان، فذلك كله لم يصح منه شيء عند كثير من العلماء ، بل إنه من عمل وإضافات المنحرفين المغرضين [١] .

ويرى الأستاذ الدكتور طه حسين أن قضية الاختلاف بين عثمان وابن مسعود متكلفة مصنوعة وإذا كان قد حدث شيء بينهما فلابد أن يكون ابن مسعود قد صفح وعفا ، فالذين يألفون ابن مسعود من أصحاب النبي ﷺ يقولون إنه كان أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله - عليه الصلاة والسلام - وابن مسعود كان من أقرأ الناس للقرآن وأعلمهم به ، وهو من غير شك قد قرأ قول الله عز وجل ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾[٢]. وهو أحرى أن يكون صبر وغفر وآثر عزم الأمور..[٣].

---

(١) انظر عرجون : الشيخ صادق إبراهيم : عثمان بن عفان ص ١٨٨ وما بعدها وكذلك عرجون : محمد الصادق : الخليفة المفتري عليه : عثمان بن عفان ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢) سورة الشورى الآية :٤٣ .

(٣) الفتنة الكبرى ١عثمان ص ١٦٢ .

ويقرر بعد ذلك أن ما أقدم عليه عثمان من حمل الناس على مصحف واحد فيه كثير من الجرأة ، لكن فيه النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجرأة ولو ترك عثمان الناس يقرأون قراءات مختلفة بلغات مختلفة لكان هذا مصدر فرقة ، ولكان من المؤكد أن الفرقة حول الألفاظ ستترتب عليها فرقة حول المعانى ... فليس على عثمان جناح فيما فعل لا من ناحية الدين ولا من ناحية السياسة (١) .

ويثنى الأستاذ عباس محمود العقاد ثناءً جماً على ما فعله عثمان رضى الله عنه ويرى أن جمع الناس على مصحف واحد وقراءة واحدة « عمل من أخلق الأعمال أن يوصف بأنه « عمل عثمان » فى الإقدام عليه وفى أثره ، فهذه الجرأة أحق شىء أنَ يلتفت إليه مَنْ كانوا يحسبون أن صفة الرحمة أو صفة الطيبة تحجب الشجاعة وتثنى صاحبها عن تبعته إن آمن بها ، وهذا العمل فى اختلاف تقديره وأثره مثال من أعمال عثمان كافة ، إذ كان معدودا

---

(١) المرجع نفسه ص ١٨٢، ١٨٣ .

عليه من أكثر السيئات ، ولم تبق لعثمان حسنة أعظم منه في تاريخ الإسلام .

أما د. هيكل فيرى ذلك الحكمة عين الحكمة، لأنه بهذا أبقى صفاء القرآن كما أوحى الله به إلى محمد. إن جمع الناس على مصحف وقراءة واحدة هو بلا شك أبرز أعمال عثمان(1) .

لقد بقى النص القرآنى محفوظاً لم يتعرض للاختلاف أو الزيادة أو النقصان كما حدث مع كتب اليهود والنصارى ، ولم يستطع أكثر الناس غلواً ومعاداة للقرآن والإسلام أن يطعن أو يشكك فى بعض نصوص كتاب الله المبين وتحقق حفظ الله لكتابه على النحو الذى وعد الله به نبيه صلوات الله وسلامه عليه فى القرآن ، كل ذلك بفضل ما قام به عثمان - رضى الله عنه - من جمع الناس على قراءة واحدة ، فهل يعد ذلك من مناقب عثمان وفضائله أم

---

(1) ذو النورين: عثمان بن عفان ص ١٤٨ القاهرة ١٩٧٧ وكذلك الدكتور محمد حسين هيكل ، بين الخلافة والملك ، عثمان بن عفان ص ١١٠ .

نعتبره نقيصة يعاب عليها ؟!! .

أما أن عثمان منع كبار الصحابة أعطياتهم مثل ابن مسعود وغيره ، ونقص أهل بدر أعطياتهم ، كل واحد ألفا عما فرضه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فذلك أمر يتناقض مع المعروف من سياسة عثمان فى التوسعة على الناس ، والذى فى الطبرى عن عامر الشعبى أن أول خليفة زاد الناس فى أعطياتهم مائة هو عثمان ، وكان عمر يجعل لكل نفس منفوسة من الفىء فى رمضان درهماً فى كل يوم ، وفرض لأزواج النبى ﷺ درهمين درهمين ، فقيل له ، لو صنعت لهم طعاما فجمعتهم عليه فقال : أشبع الناس فى بيوتهم ، فاقر عثمان الذى كان صنع عمر وزاد فوضع طعام رمضان ، فقال : للمتعبد الذى يتخلف فى المسجد وابن السبيل والمعترين «الفقراء» بالناس فى رمضان . ليس لأحد أن يؤاخذ عثمان بذلك والأموال تتدفق على المدينة من كافة الأنحاء فلا تضيق بما

وسع أمير المؤمنين على المسلمين [١].

نأتي بعد ذلك لما ينسب إلى عثمان - رضى الله عنه - من ضربه لابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه ، وضربه لعمار بن ياسر حتى فتق أمعاءه ، ذلك كله زور وبهتان . لقد قال ابن مسعود يوم بويع عثمان ، رضى الله عنه ، « بايعنا خيرنا ولم نأل » ، وقد كان ابن مسعود واليا على أموال الكوفة لعمر بن الخطاب ، وكان سعد بن أبي وقاص والياً على صلاتها وحربها ، وبقى الحال هكذا عندما تولى عثمان - رضوان الله عليهم أجمعين - وتذكر المصادر كذلك أن عمر عزل سعدا من الكوفة قبل وفاته لكثرة شكايات أهل الكوفة منه - مع علمه بنزاهة سعد - ولذلك

---

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الطبرى جـ ٤ ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٢٤هـ ، كذلك - هيكل: محمد حسين: بين الخلافة والملك

FELIX, M . PAREJA : ISLAMALOGIA TOMOI, P78- 90 MADRID 1952 -- 1954 .

CLAUDE CAHAN ; EL ISLAM , 1 , DESDE LOS ORIGENES HASTA EL COMINZO DEL IMPERIO OTAMANO P21 , 22 MADRID 1971.

قال عندما طعن وعين أهل الشورى الستة ليختاروا منهم واحدا وكان سعد فيهم - قال إن أصابت الخلافة سعدا فهو أهل لها وإن أخطأته فأوصى الخليفة بعدى أن يستعمله لأنى لم أعزله عن عجز أو خيانة.

ومعنى هذا أن سعدا لم يكن واليا عند وفاة عمر وتولية عثمان ، وإنما استعمله عثمان تنفيذاً لوصية عمر ، فحدث ما حدث بينه وبين ابن مسعود من خلاف بسبب قرض أخذه سعد من بيت المال ، فعزل عثمان سعدا وأبقى ابن مسعود[1] وإذن فليست هناك شائبة بين ابن مسعود والخليفة عثمان حتى يضربه ويكسر أضلاعه ويمنعه عطاءه .

لقد حدث أن عزم الخليفة عثمان علىْ جمع العالم الإسلامى كله على مصحف واحد كما قدمنا ، ذلك هو المصحف الذى أجمع صحابة رسول الله ﷺ على أنه المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله

---

(١) انظر الطبرى: تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٢٤٤.

عز وجل على رسول الله ﷺ قبل وفاته ، وكان ابن مسعود يودّ لو نيطت به مهمة كتابة المصحف ، وكان يتمنى أيضا أن يبقى مصحفه الذى كتبه لنفسه ، فعمل عثمان كان على غير رغبة ابن مسعود - رضى الله عنهما - ومعروف أن الخليفة اختار زيد بن ثابت كما أشرنا فيما سبق وكلفه بمهمة كتابة نسخ المصحف ؛ لأن أبا بكر وعمر - رضى الله عنهما - اختاراه لهذه المهمة من قبل ، اختاراه زمن الصديق ؛ لأنه هو الذى حفظ العرضة الأخيرة لكتاب الله على الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قبل وفاته ، يعلم ذلك عثمان عن يقين كما يعلم غيره من الصحابة ، ويقر الجميع بمكانة وعلم ابن مسعود فى الآن نفسه .

وكان عثمان على حق عندما ألغى كل المصاحف الأخرى بما فيها مصحف ابن مسعود ، وكان على حق عندما وحد الناس على مصحف واحد وقراءة واحدة ، بل إن ذلك من أجل الأعمال التى قام بها عثمان رضى الله عنه ونالت

إجماع الصحابة وموافقتهم [1] ولم يحدث إذن أن ضرب عثمان ابن مسعود أو منعه عطاءه ، بل بقى يعرف قدره وبقى ابن مسعود على طاعته للخليفة الذى بايعه ورحب بخلافته .

أما ضرب عثمان لعمار - رضى الله عنهما - حتى فتق أمعاءه فإفك أيضا ، روى الطبرى عن سعيد بن المسيب أنه كان هناك خلاف بين عمار بن ياسر وبين عباس بن عتبة ابن أبى لهب حمل الخليفة على أن يؤدبهما عليه بالضرب ، وهذا حق ولى الأمر بحكم ماله من ولاية ، وكم فعل عمر مثله من قبل . وعندما بدأت الإشاعات ضد عثمان بتدبير جماعة السبئية ، وأخذوا يبعثون الكتب إلى مختلف الأمصار بالأخبار الكاذبة ، أشار الصحابة على عثمان رضى الله عنه أن يبعث رجالاً إلى الأمصار يتحرون له حقيقة الأمر ، فاختار الخليفة عمارا وجعله موضع ثقته ، ومع ذلك ذهب عمار إلى مصر وأبطأ بها وحاول السبئيون

(١) انظر ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ٣ ص ١٩١- ١٩٢ من الطبعة الأولى .

استمالته إليهم ، لكن عثمان وعامله على مصر تداركا الأمر ، وعاتب الخليفة عمارا على ما كان منه وقال له : « يا أبا اليقظان ، قذفت ابن أبى لهب أن قذفك .. وغضبت علىَّ أن أخذت لك بحقك وله بحقه ، اللهم إنى قد وهبت ما بينى وبين أمتى من مظلمة ، اللهم إنى متقرب إليك بإقامة حدودك فى كل أحد ولا أبالى ، « اخرج عنى عمارا » ، فخرج ، فكان إذا لقى العوام نضح عن نفسه وانتفى من ذلك ، وإذا لقى من يأمنه أقر بذلك وأظهر الندم ، فلامه الناس وهجروه وكرهوه [1] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

وعثمان أفضل من كل مَنْ تكلم فيه ، هو أفضل من ابن مسعود وعمار وأبى ذر ومِنْ غيرهم من وجوه كثيرة ، كما ثبت بالدلائل ، وليس جعل المفضول قادحا فى الفاضل بأولى من العكس ، فإذا قيل إن عثمان قد ضرب ابن

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٩٩ من طبعة مصر الحافظ ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص ٤٢٩ .

مسعود أوعمارا فهذا لا يقدح فى واحد منهم ، فإنا نشهد أن الثلاثة فى الجنة ، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين ، وأن ولى الله قد يصدر عنه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية ، فكيف بالتعزير ؟ [1].

لقد ضرب عمر بن الخطاب أبى بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه ، وقال : « هذا ذلة للتابع وفتنة للمتبوع » [2] . فإن كان عثمان أدب هؤلاء فإما أن يكون مصيباً فى تعزيرهم لاستحقاقهم ذلك ، ويكون ذلك الذى عزروا عليه قد تابوا منه ، وكفّر عنهم بالتعزير وغيره من المصائب والحسنات وغير ذلك ، وإما أن يقال إنهم كانوا مظلومين مطلقاً ، عندئذ يكون القول فى عثمان كالقول فيهم وزيادة ؛ لأنه أفضل منهم وأحق بالمغفرة والرحمة...

هذا وجه الحق فى هذه المسألة ، فليس فيها ضرب لعمارحتى فتقت أمعاؤه كما قيل ، ولو حدث ذلك ما عاش

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ٣ ص ١٩٢-١٩٣ من الطبعة الأولى .

(٢) المرجع والموضوع السابق .

عمار رضى الله عنه بعدها أبدا ، وليس هناك ضرب لابن مسعود ولا كسر لأضلاعه ولا منع لعطائه ، فهذه كلها أباطيل من فعل الوشاة والمغرضين [١] .

---

(١) انظر ابن العربي : العواصم من القواصم ص ٦٣ - ٦٦ مع تعليقات الشيخ محب الدين الخطيب بها .

رابعاً: ارتقاء المنبر
فى موضع رسول الله ﷺ

أما ارتقاؤه المنبر فى موضع رسول الله ﷺ بعد أن كان قد نزل عنه درجة كل من أبى بكر وعمر ، فقد أنكره بعض العلماء ، ورأوا أنه من الإشاعات المنكرة ، وأضافوا أنه لو صح ذلك فما فى هذا ما يحل دم الخليفة ، ولا يخلو الأمر مِنْ أن يكون إما حق لم تنكره الصحابة عليه ورأوا جوازه لسبب اقتضى ذلك ، وإن لم يكن كذلك فقد انقطع الكلام فيه .

لقد كان مسجد رسول الله ﷺ ضيق فى عصر النبوة وخلافة الصديق ، ومن مآثر عثمان - رضى الله عنه - أنه اشترى مساحة من الأرض ، وسع بها مسجد رسول الله ﷺ وكان عمر - رضى الله عنه - قد وسعه بإدخال دار العباس بن عبد المطلب فيه ، ثم زاد عدد المصلين وعدد سكان المدينة ، ومن يؤمها من المسلمين ، فوسعه الخليفة

الثالث للمرة الثانية وجعل طوله ١٣٠ ذراعاً وعرضه ١٥٠ ذراعاً وجدد بناءه ، فاتساع المسجد هذا وكثرة المصلين فيه وبعد أمكنة بعضهم عن منبر الخطابة ، كل ذلك ربما كان وراء ارتفاع عثمان رضى الله عنه درجة ، وكانت تلك ضرورة حتى يمكن للناس أن يروا الخطيب ويسمعوه ، فهل كانت تلك جريمة كبرى تبرر النهاية المؤلمة التى تعرض لها رضوان الله عليه ؟ ! [١].

---

(١) انظر : ابن العربى ، العواصم من القواصم ص ١٠٣ ، والتعليق رقم (٢) بنفس الصفحة.

خامساً: حمى قطر السماء عن عباد الله

نأتى إلى ما يرمى به الخليفة الثالث - رضوان الله عليه - من أنه حمى الحمى ، وبادىء ذى بدء نقرر أن حماية الحمى هذا أمر قديم ، ولم يفعل عثمان سوى أن زاد فيه عندما زادت الرعية ، وإذا جاز أصل الشىء للحاجة كما يقرر علماء أصول الفقه جازت الزيادة لزيادة الحاجة .

ومن الأمور المعروفة فى الجاهلية أن الشريف كان إذا نزل أرضاً استعوى كلبا فحمى لخيله وإبله وسوائمه مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره ، فلما جاء الإسلام نهى النبى - صلوات الله وسلامه عليه - عن ذلك ، واختص الحمى بإبل الزكاة المرصدة للجهاد والمصالح العامة ، فقال ﷺ: [لا حمى إلا لله ورسوله](1) .

---

(1) انظر البخارى : الجامع الصحيح، كتاب المساقاة ك ٤٢ ب ١١ ، وكتاب الجهاد ك ٥٦ب ١٤٦ ، وكذلك ابن حنبل : مسند الإمام أحمد جـ٤ ص ٧١ ، ٧٣ من الطبعة الأولى .

وقد روى أن النبى ﷺ - حمى مكاناً يسمى النقيع - نقيع الخضمات ، حماه للخيل - وهو على بعد ٢٠ فرسخاً من المدينة المنورة ومساحته ميل فى ثمانية أميال ، كما فى موطأ مالك برواية ابن وهب - من حديث أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر العمرى أن النبى ﷺ حمى النقيع للخيل ، عندما سئل يا أبا عبد الرحمن، خيله؟ قال: وخيل المسلمين أى المعدة للجهاد أو المملوكة لبيت المال (١).

وفى خلافة الصديق - رضى الله عنه - بقى الحال على ما كان عليه فى زمن رسول الله ﷺ ، فلما جاء زمن عمر - رضى الله عنه - اتسع الحمى ليشمل «سرف» و«الربذة» وعين الخليفة أحد مواليه على هذا الحمى وأمره أن يمنع نعم الأثرياء كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وأن يتسامح مع رب الغنيمة ورب الصريمة « لئلا تهلك ماشيتنا » .

وإذا كان عمر قد زاد فى الحمى عما كان عليه زمن

---

(٢) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد جـ ٢ ص ٩١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، من الطبعة الأولى ،ورقم ٥٦٥٥، ٦٤٣٨، ٦٤٦٤ من الطبعة الثانية .

رسول الله ﷺ - وزمن أبى بكر الصديق بسبب زيادة سوائم بيت المال ، . فلم لا يجوز لعثمان - رضى الله عنه - أن يفعل الشيء نفسه بعد أن ازدادت الفتوح واتسعت الدولة ؟ أليس الاعتراض عليه يعتبر اعتراضاً على أمر يدخل فى نطاق سلطاته وفقا لأصول التشريع الإسلامى ؟ لقد أعلن عثمان على ملأ من الصحابة وغيرهم أن من يتولون له الحمى ، إنما اقتصروا على صدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ، وأنهم ما منعوا ولا نحوا منها أحداً ، وذكر عن نفسه - أثناء نقاشه مع الثائرين زمن الفتنة - أنه كان قبل أن يلى الخلافة أكثر العرب بعيراًوشاةً ثم أمسى وليس له غير بعيرين لحجه ، وقد أقره الصحابة على ما قال عندما سألهم : أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم[1] فأى مخالفة ارتكبها عثمان - رضى الله

---

(١) انظر : ابن العربى ، العواصم من القواصم ص ٧٢ ، ٧٣ ، تعليقات الشيخ محب الدين الخطيب بهما ، وكذلك جاد المولى : محمد أحمد جاد المولى بك : إنصاف عثمان : التعليق الموجود فى ص ٥٧

عنه ـ عندما حمى الحمى ، لا لأبله وخيله هو بل لإبل وخيل ونعم صدقات المسلمين ، تماماً كما فعل رسول الله ﷺ والصاحبان من بعده ؟! ، بل إنه رضى الله عنه حين رأى تحرج المسلمين من ذلك وضيقهم به لم يتشدد وإنما تركه واستغفر الله .

سادساً: ردّ طريد رسول الله إلى المدينة

القول بأن عثمان - رضوان الله عليه - ردّ عمه الحكم ابن العاص إلى المدينة المنورة وهو طريد رسول الله، قول مردود، فلم يثبت أن عثمان تصرف فى هذا بما يخالف مقتضى الشرع. ويقرر العلماء هنا أن رسول الله ﷺ كان قد أذن لعثمان فى ذلك، وأنه تكلم فى هذا الأمر مع أبى بكر وعمر وأنهما قالا له إن كان معك شاهد رددناه، فلما تولى عثمان قضى بعلمه فى رده «وما كان لعثمان أن يصل مهجور رسول الله ﷺ ولو كان أباه ولا لينقض حكمه»[1].

على أن شيخ الإسلام ابن تيمية لا يثق فى خبر نفى رسول الله ﷺ للحكم ويقول إن كثيرا من أهل العلم يشكك فى ذلك ويقررون أن الحكم ذهب باختياره، فقصة نفى الحكم ليست فى الصحاح وليس لها إسناد يعرف به أمرها، ثم يقول: لم يكن الطلقاء يسكنون بالمدينة، فإذا كان الرسول

---

(١) انظر حسين: الأستاذ الدكتور طه: الفتنة الكبرى ١- عثمان ص ١٨١.

ﷺ قد طرده ، فإنما طرده من مكة لا من المدينة ، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة ، وهب أنه لم يذهب باختياره وعزره النبى ﷺ بالنفى ، فهل يلزم لمن عزره النبى ﷺ بالنفى أن يبقى منفياً طول الزمان ، وهل تعرف الشريعة ذنباً يبقى صاحبه منفياً دائماً ؟[1] إن غاية النفى المقدر سنة وهو نفى الزانى والمخنث حتى يتوب من التخنيث ، وإذا كان النفى على ذنب ماض ، فإن التعزير فيه يكون أمراً اجتهادياً لا يوقّت بوقت ، وكان النفى فى آخر الهجرة ، ولم تطل مدته فى زمن أبى بكر وعمر ، فلما كان عثمان طالت مدته .

ولقد قبل رسول ﷺ شفاعة عثمان - رضى الله عنه - فى شأن عبد الله بن سعد بن أبى سرح وبايعه ، فلم لا يقبل شفاعته فى الحكم ؟ لقد روى أن عثمان - رضى الله عنه - سأل رسول الله ﷺ أن يرده ، فأذن له ، مع أن

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية جـ٣ ص ١٩٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ من الطبعة الأولى وجـ٦ ص ٢٦٥ - ٢٧١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد سالم .

ذنبه دون عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وقصة عبد الله ثابتة معروفة الإسناد ، وإنما ذكرت قصة «الحكم » مرسلة ذكرها من يكثر الكذب فيما يروونه ، ومعروف فضائل عثمان وأنه من كبار الأولياء المتقين ، وأن - النبى ﷺ - مات وهو عنه راض وشهد له بالجنة - هذا ثابت بإسناد قطعى ، فكيف ندفعه بنقل لا يثبت إسناده ، وكيف نجعل لعثمان ذنبا لا نعرف حقيقته . وقد نقل ابن حزم نفى هذه التهمة عن عثمان - رضى الله عنه - يقول « ونفى رسول الله ﷺ لم يكن حداً واجباً ولا شريعة على التأبيد ، وإنما كان عقوبة على ذنب استحق النفى ، والتوبة مبسوطة ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام ، وصارت الأرض كلها مباحة (١) .

يقول ابن تيمية :

نحن نعلم أن النبى ﷺ لم يكن يأمر بنفى أحد دائما ثم يرده عثمان معصية لله ورسوله ولا ينكر ذلك عليه

---

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل : كتاب الإمامة والمفاضلة ج٤ ص١٥٤ .

المسلمون ، وكان عثمان ـ رضى الله عنه ـ أتقى لله من أن يقدم على مثل هذا ، بل هذا مما يدخله الاجتهاد ، فلعل أبا بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ لم يرداه ؛ لأنه لم يطلب ذلك منهما وطلبه من عثمان ، فأجاب إلى ذلك ، أو لعله لم يتبين لهما توبته وتبين ذلك لعثمان ، وغاية ما يقدر أن يكون هذا خطأ من الاجتهاد أو ذنباً... تغفره التوبة [1].

وقد نفى هذه التهمة عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ المجتهد الزيدى محمد بن إبراهيم الوزير اليمنى فى كتابه « الروض الباسم فى الذبّ عن سنة أبى القاسم جـ ١ : ١٤١-١٤٢ » ونقل عن الحاكم الحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع قوله فى كتابه « سرح العيون » أن رسول الله ـ ﷺ ـ أذن فى ذلك لعثمان ، ثم قال ابن الوزير : إن المعتزلة والشيعة من الزيدية يلزمهم قبول هذا الحديث ، وترك الاعتراض على عثمان بذلك « لأن راوى الحديث عندهم من المشاهير

---

(١) منهاج السنةالنبوية جـ ٦ ص ٢٦٨ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشادسالم.

بالثقة والعلم وصحة العقيدة،[1] كل الذى ذكرناه ـ وله دلالته الخاصة عند المعتزلة والشيعة وأئمة أهل السنة وابن حزم أحد أئمة الظاهرية ـ ألا يكفى لنفى ورد تلك التهمة عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ ؟! . وعلى كل حال فهذه ليست من الأمور التى تقدح فى دين عثمان ، فهو قد خالف سنة على أكثر تقدير وتأول مخطئا أو مصيباً ، لكنه لم يغير أصلاً من أصول الدين ولاهدم ركناً من أركان الإسلام ، وهو بعد ذلك رجل يخطىء ويصيب . وقد رد الخليفة الثالث نفسه هذه التهمة فى إحدى خطبه إبان الأزمة ؛ قال :

إن الحكم كان مكياً ، فسيره رسول الله ﷺ منها ـ أى من مكة ـ إلى الطائف ثم رده ـ أى رسول الله ﷺ إلى بلده ـ أى

---

(١) انظر :العواصم من القواصم ص٧٧ـ ٧٩ وتعليقات الشيخ محب الدين الخطيب بها ، وانظر
عرجون : الشيخ صادق إبراهيم .
عثمان بن عفان ص ١٢١ وما بعدها .
وعرجون: الشيخ محمد الصادق عرجون ، الخليفة المفترى عليه ، عثمان بن عفان ص ٨٣ وما بعدها .

مكة ، فرسول الله ﷺ سيره بذنبه ، ورسول الله ﷺ ـ رده بعفوه ، وقد سير ـ أى نفى ـ الخليفة من بعده ، وعمر رضى الله عنه من بعد الخليفة ..[1].

ولهذا كله فإن التجوز ـ فيما نرى ـ ما ذهب إليه الأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك حين قال إن رد عثمان للحكم وآله « بعد أن رفضه رسول الله ﷺ والخليفتان جرأة فى ضعف ، وضعف فى جرأة ، جرأة على رسول الله ﷺ وخليفتيه ، وضعف أمام القرابة وحقوقها .. [2].

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٩٩ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٣٥ .

(١) انظر : إنصاف عثمان ص ١١٥ .

سابعاً: وَهْبُه خُمس مغانم إفريقية لمروان بن الحكم

ما يقال من أن عثمان - رضى الله عنه - وهب خُمس إفريقية أى خُمس ما أفاء الله به على المسلمين من مغانم إفريقية لمروان بن الحكم أو لغيره ، فذلك أمر لم يصح ولم يثبت ، والذى صح أن عثمان - رضى الله عنه - منح خُمس الخُمس من هذه المغانم لعبد الله بن سعد بن أبى سرح جزاء جهاده ثم عاد واسترده منه . جاء فى تاريخ الطبرى أن عثمان - رضى الله عنه - لما أمر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها ، قال له « إن فتح الله غداً إفريقية ، فلك مما أفاء الله على المسلمين خُمس الخُمس من الغنيمة نفلاً ، فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وتوغلوا فى أرض إفريقية وفتحوها سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ الخُمس وأرسل بأربعة أخماس إلى عثمان - رضى

الله عنه - مع وثيمة النصرى . فشكا وفد ممن معه إلى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد ، فقال لهم عثمان - رضى الله عنه - أنا أمرت لـه بذلك فإن سخطتم فهو رد ، قالوا: إنا نسخطه ، فأمرعثمان عبد الله بن سعد بأن يرده فرده ، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية [1] .

وهناك رواية أخرى ينقلها الشيخ صادق إبراهيم عرجون وغيره عن المصادر ، مضمونها أن عثمان - رضى الله عنه - أمَّر أخاه من الرضاع عبد الله بن سعد بن أبى سرح على جيش لفتح إفريقية فغزاها وتم له النصر وفتحها وغنم منها غنائم كثيرة قسمها على جنده ، وأخرج الخُمس من الذهب فكان خمسمائة ألف دينار ، فأنفذه إلى الخليفة ، وبقى من الخُمس أصناف من الأثاث والماشية يشق نقله إلى عاصمة الخلافة ، فاشتراها مروان بمائه ألف درهم ونقد أكثرها ، ولما وصل إلى الخليفة موفدا ببشرى

---

(١) انظر : تاريخ الطبرى ج٥ ، ص ٤٩ من طبعة مصر ، ص ٢٨١٤ ، ٢٨١٥ من طبعة أوروبا ، ج٤ ص ٢٥٤ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم ، حوادث سنة ٢٧ هـ .

الفتح ... وهب له عثمان ما بقى فى ذمته من ثمن ما اشتراه من الخُمس ، وكان الذى عليه شيئا قليلاً - جزاء بشارته ، وهذا من حق الإمام ، فقد ثبت فى السنة تنفيل أهل الغناء والبأس فى الجهاد ، كما فعل النبى ﷺ فى مكافأة سلمة بن الأكوع ، كما جاء فى المنتقى للمجد بن تيمية فى الغزوات المذكورة فى صفحات ٤٣١٤ ، ٤٣١٩ ، ٤٣٢٠ ، ٤٣٢١ ، وقد ثبت أن أبا بكر نفل خالد بن الوليد قلنسوة الهرمزان ، وكانت قيمتها مائة ألف ، فأين ما خرق به المخرقون من هذه الحقائق الثابتة ؟[1].

وسواء صحت هذه الرواية أو سابقتها ، فإن الإمام مالك وغيره من أئمة العلماء يقررون أن حق الإمام أن يرى رأيه فى الخُمس ، وينفذ اجتهاده فى ذلك ، وإن أعطاه لفرد واحد جاز. قال الإمام عامر بن شراحبيل الشعبى « إنما القطائع

---

(١) انظر عرجون الشيخ صادق إبراهيم . عثمان بن عفان ص ١٤٠ .

عرجون : الشيخ محمد الصادق . الخليفة المفترى عليه : عثمان بن عفان ص ٩٦ .

وكذلك العقاد : الأستاذ الكبير عباس محمود : ذو النورين ، عثمان بن عفان ص ١٥٢ .

على وجه النفل من خُمس ما أفاء الله » قال » وأقطع عمر طلحة وجرير بن عبد الله والربيل عمرو ، وأقطع أبا مفرز دار الفيل » وممن أقطعهم عمر بن الخطاب ، نافع أخو زياد وأبى بكرة لأمهما ، أقطعه أرضاً فى البصرة لخيله وإبله مساحتها عشرة أجرنة «انظر ترجمة نافع فى الإصابة لابن حجر ».

يقول القاضى أبو يوسف فى كتابه الخراج ص ٦١ : وقد أقطع رسول الله ﷺ وتألف على الإسلام أقواما ، وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا فى إقطاعه صلاحا» ضرب أبو يوسف الأمثلة على ذلك ، وانظر أيضاً باب القطائع من كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى ص ٧٧ ، ٧٨ ، من طبعة السلفية » .

وقد ذكر الإمام الشعبى بعض من أقطعهم عثمان ، فقال: « وأقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هباز أزمّان عثمان ، فإن يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأوا ، وهم الذين أخذنا عنهم

دينـنا » وأقطع على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ كردوس ابن هانىء الكردوسية، وأقطع سويد بن عفلة أرضاً لذويه، فكيف ينكرون على عثمان ويسكتون عن عمر وعلى ، وللقاضى أبو يوسف كلام سديد فى هذا الموضوع[1].

وما يقال حول إيثار عثمان ـ رضى الله عنه ـ لقرابته ونسائه وبناته أو أنه كان ينفق عليهم من بيت المال ما لم يأذن به الله ، فهو قول غير صحيح ، الثابت أنه ـ رضى الله عنه ـ كان يود ذوى قرباه ويعطيهم من ماله هو لا من بيت مال المسلمين ، وتلك إحدى فضائل الخليفة الثالث ، وقد أثنى الإمام « على » ـ كرم الله وجهه ـ على عثمان ، وقال إنه أوصل الصحابة للرحم ، وقد علق عثمان على كلمات من ألصقوا به تلك التهمة الجائرة فقال :

إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم ، فأما حبى لهم فإنه لم يمل معهم على جور بل أحمل الحقوق عليهم ، وأما إعطاؤهم فإنى إنما أعطيهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين

---

(١) انظر : أبو يوسف ، الخراج ص ٦٠ - ٦٢ طبعة السلفية ١٣٥٢ هـ .

لنفسى ولا لأحد من أهل بيتى . قد كنت أعطى العطية الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، وأنا يومئذ شحيح حريص ،أفحين أتت علىَّ أسنان أهل بيتى وفنى عمرى ، وودعت الذى لى فى أهلى ، قال الملحدون ما قالوا ؟[1] .

ولو فرضنا أن عثمان قد أعطى ، فإن للمسألة ما يبررها ، فقد ذهب بعض الفقهاء - إلى أن سهم ذوى القربى إنما يكون لقرابة الإمام ، وأن النبى ﷺ كان يعطى بحكم الولاية ..... وقيل هو لمن ولى الأمر من بعده يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« وبالجملة ، فعامة من تولى الأمر بعد عمر ، كان يخص بعض أقاربه إما بولاية أو مال ... وأضاف ، إن ما فعله عثمان فى المال له ثلاثة مآخذ : أحدها أنه عامل عليه والعامل يستحق مع الغنى ، والثانى أن ذوى القربى هم

---

(١) انظر مثلا الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٠٣ من طبعة مصر ، ج ٤ ص ٢٤٧، ص ٢٤٨ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٣٥ هـ .

ذوو قرابة الإمام الثالث - أي أقرباء عثمان - رضى الله عنه - وكانوا قبيلة كثيرة ليسوا مثل قبيلة أبى بكر وعمر ، فكان يحتاج إلى إعطائهم وولايتهم أكثر من حاجة أبى بكر وعمر إلى تولية أقاربهما وإعطائهم ، وهذا مما نقل عن عثمان الاحتجاج به[1] وكان عثمان - رضى الله عنه - قد قسم ماله وأرضه فى بنى أمية ، وجعل ولده كبعض من يعطى ، فبدأ ببنى أبى العاص ، فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف ، عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بنى عثمان مثل ذلك ، وقسم فى بنى العاص وبنى العيص وفى بنى حرب[2].

فمن التجنى على عثمان إذن أن يقال إنه خص أهله

---

(١) انظر ابن العربى : العواصم من القواصم ص ١٠٠ - ١٠٢ وما بها من تعليقات للشيخ محب الدين الخطيب . منهاج السنة النبوية ج ٣ ص ١٨٧ ، ١٨٨ من الطبعة الأولى ج ٦ ص ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد سالم .

(٢) انظر ابن العربى : المرجع السابق ص ١٠٢ .

بالأموال الكثيرة من بيت المال وإنه دفع أربعمائة ألف دينار إلى أربعة نفر من قريش زوجهم بناته ، وإنه دفع إلى مروان ألف ألف أى مليون دينار .

يتساءل ابن تيمية ويقول أين النقل الثابت فى ذلك؟ ثم يضيف ، نعم كان يعطى أقاربه ، وغير أقاربه ، وكان محسناً لجميع المسلمين ، أما هذ القدر الكثير فيحتاج إلى نقل ثابت ، ثم هذا من الكذب البين ، فلا عثمان ولا غيره من الخلفاء الراشدين أعطى هذا المبلغ أو ما يقاربه ، ومعروف أن معاوية كان يعطى من يتألفه أكثر من عثمان، ومع ذلك فغاية ما أعطى هو ١٠٠ ألف أو ٢٠٠ ألف درهم أعطاها للحسن بن على ، ولم يعط أحدا قط مثل هذا .

نعم كان عثمان يعطى بعض أقربائه ، ولذلك تأويلان : أحدهما مذهب طائفة من الفقهاء وهو أنه ما أطعم الله لنبى طعمة إلا كانت طعمة لمن يتولى الأمر من بعده ، ورووا فى ذلك حديثا مرفوعاً للنبى ﷺ بمقتضاه فإن ذوى القربى فى حياة النبى ﷺ هم أقرباؤه وبعد موته هم ذوو

قربى لمن يتولى الأمر من بعده ، وقد استحق أقرباء عثمان ـ رضى الله عنه ـ أن يصلهم من بيت المال لكونهم أولى قربى الإمام ، التأويل الثانى أنه ـ رضى الله عنه ـ كان يعمل فى المال ، وقد قال الله تعالى ﴿والعاملين عليها﴾ والعامل على الصدقة الغنى ، له أن يأخذ بعمالته باتفاق المسلمين ..[1].

يتصل بهذا ما يقال من أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ أخذ من أموال الصدقة وأنفق منها على الحرب والمرافق العامة ، مع أن مصارف الزكاة محدودة بنص الآية .﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾[2] والواقع أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ لم يفعل ذلك إلا عندما

---

(١) انظر تفصيل ذلك عند ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٦ ص ١٠٩، ص ٢٤٩ ص ٢٥٢ ص ٢٥٥، ٢٥٦ من الطبعة الثانية بتحقيق أ .د محمد رشاد سالم .

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

رأى زيادة فى أموال الصدقة ورأى حاجة الحرب إلى مزيد من النفقة ، فاقترض من هذه لينفق فى تلك ، على أن يرد المال لموضعه عندما يرى فى بيت المال سعة . أليس من حق الإمام أن يقترض من مصرف لمصرف ، هل غَيَّر بذلك فى الدين أو خالف سنة موروثة ؟ .

ألا يشبه ذلك ما يجرى اليوم من الاقتراض من بنود الميزانية العامة للإنفاق على بند آخر بموافقة السلطات المعنية ، أليس مصرف « فى سبيل الله » من المصارف الثمانية المذكورة فى سورة التوبة ، ألا يعتبر الإنفاق فى الحرب والجهاد وتسليح الجيش وحاجة القوات إنفاقاً فى سبيل الله ؟ [1] .

هـذا تحرير القـول فى مسألة الإنفاق وإيثار ذوى القربى ، ومنه يتضح براءة ساحة الخليفة عثمان رضى الله عنه مما نسب إليه : من إنفاقه على صناعة دوره من بيت المال ، وإيثار قرابته وأخذه الصدقة لنفسه ولأهل بيته من

---

(١) انظر الأستاذ الدكتور طه حسين : الفتنة الكبرى ١- عثمان ص ١٨١ .

دون أهلها المنصوص عليهم فى القرآن الكريم ، وإنه أعطى مروان منها مائة ألف ، وأعطى غيره كذا... إلخ . هذه الأباطيل والأعاجيب ... **﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾** [٢] .

---

(٢) سورة الكهف : الآية ٥ .

ثامناً: نفى أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ إلى الربذة

نسب إلى عثمان أنه نفى أبا ذر ـ رضى الله عنه ـ إلى الربذة ، وذلك أمر لم يحدث ، والصحيح أن أبا ذر هو الذى اختار بإرادته أن يعتزل فى الربذة فوافقه عثمان ـ رضى الله عنه ـ على ذلك .

ويقرر الرواة أن أبا ذر كان من الزهاد ، وكان يلوم ولاة عثمان ـ رضى الله عنه ـ ويتلو عليهم قوله تعالى: **﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾**[1] ، وكان يراهم يتمتعون فى المراكب والملابس فينكر ذلك عليهم ، ويريد توزيع كل ما يصل إلى أيديهم من مال ، مع أن ذلك لا يلزم شرعاً ، فابن عمر وغيره من الصحابة يقولون « إن ما أديت زكاته فليس بكنز » .

---

(١) سورة التوبة :الآية ٣٤ .

نقل الطبرى وغيره أن عبد الله بن سبأ - ابن السوداء - لما ورد الشام ، لقى أبا ذر فقال له : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول : « المال مال الله » ألا إن كل شيء لله ، كأنه يريد أن يحتجزه دون مال المسلمين ويمحو اسم المسلمين ، فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال أبو ذر: فلا تقله ، قال معاوية : فإنى لا أقول إنه ليس لله ولكن سأقول مال المسلمين . وأتى ابن السوداء أبا الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : من أنت ؟ أظنك والله يهوديا ، فأتى ابن سبأ عبادة ابن الصامت فتعلق به ابن الصامت ، فأتى به معاوية ، فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر (1) .

---

(1) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ج٥ ص ٦٦ طبعة مصر ج ٤ ص ٢٨٣ - ٢٨٦ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم ، حوادث سنة ٣٠ هـ تحت عنوان أخبار أبى ذر رحمه الله .

الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١١٣ - ١١٦ حوادث سنة ٣٠ هـ .

وقد خرج أبو ذر إلى المدينة فأخذ الناس يجتمعون إليه وهو يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان، «لو اعتزلت» يعنى أنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فللعزلة شروطها كما أن للخلطة شروطا، يعنى أن من كان على حال أبى ذر، فإن ذلك يقتضى أن ينفرد بنفسه، أو يخالط ويسلم بما عليه حال كل فرد ما دام ليس محرماً شرعاً، وقد خرج إلى الربذة على حال من الفضل والزهد، وترك آخرين من أجلة الفضلاء، وكل على خير، وإن كان حال أبى ذر أفضل إلا أنه لا يصلح لكافة الخلائق وإلا هلك الناس.

وللأستاذ محب الدين الخطيب كلام طيب فى هذا الصدد، يقول ما خلاصته: إن للمسلم أن يكون غنيا بلا حدود شريطة أن يكون ذلك من حلال وأن يكتفى منه بما يكفيه بالمعروف، محاولاً أن يحرر نفسه من الانقياد للمكملات فضلا عن توافه الحضارة، وبعد أن يؤدى زكاة ما يملك يعتبر الزائد عن حاجته كالأمانة يتصرف فيها بما يزيد ثروة وقوة المسلمين وعزهم، أما طريقة أبى ذر فى

أنه لا يبيت المسلم وعنده مال ، فليست فى مصلحة المسلمين الآن ، كذلك طريقة أغنياء المسلمين اليوم فى أن يعيشوا لنفسهم ومتعتهم دون مبالاة بقوة الإسلام وحاجة أهله ، فليست من الإسلام [١] .

وهناك فتوى تقول إن جمهور الصحابة وغيرهم من الفقهاء المجتهدين يرون أنه لا يجب فى مال الأغنياء إلا ما أوجبه الله من الزكاة والخراج والنفقات الواجبة بسبب الزوجية أو القرابة ، وما يكون لعوارض مؤقتة وأسباب خاصة كإغاثة ملهوف وإطعام جائع مضطر ، وكالكفارات وما يتخذ من العدة للدفاع عن الأوطان وحفظ النظام إذا كان ما فى بيت المسلمين لا يكفى لهذا..ومذهب أبى ذر لا يُعلم أن أحدا من الصحابة وافقه عليه ...[٢].

---

(١) انظر مقال الأستاذ محب الدين الخطيب فى مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٧٤ هـ .

(٢) انظر مخلوف : الشيخ حسنين محمد مخلوف ، فتاوى شرعية وبحوث إسلامية نقلا عن محمد فتحى عثمان : التاريخ الإسلامى ـ ص ٢٣٢ وانظر فى ذلك أيضاً .

ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ٦ ص ٢٧٢ - ٢٧٥ من الطبعة الثانية بتحقيق أ . د محمد رشاد سالم .

والعجيب أن ما فعله عثمان فعله من قبله عمر رضى الله عنهما ، فقد قال لابن مسعود وأبى الدرداء ولأبى ذر بعد أن أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ولم يدعهم يخرجون من المدينة حتى استشهد، فأطلقهم عثمان ـ رضى الله عنه ـ .

لقد وقع كلام بين أبى ذر ومعاوية ـ رضى الله عنهما ـ وكان أبو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله فى زمن عمر ، فأعلم معاوية عثمان بذلك وخشى أن تحدث فتنة فى العامة ؛ لأن أبا ذر كان يريد حمل الناس على التزهد وعلى ما لا يحتمله إلا بعض الناس ، وقد طلب عثمان من أبى ذر أن يأتى إلى المدينة ، ولما قدم اجتمع إليه الناس ، فقال : أريد الربذة فقال له : افعل ، فاعتزل ولم يكن يصلح له إلا ذلك ؛ لطريقته .

جاء فى « العبر » أن أبا ذر استأذن عثمان ـ رضى الله عنه ـ فى الخروج من المدينة قال : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً ، فأذن له ونزل الربذة

وبنى مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا ، وكان يتعاهد المدينة ، وبينها وبين الربذة ثلاثة أميال ، وكانت من أحسن المنازل فى طريق مكة حسبما يقول « ياقوت الحموى » صاحب «معجم البلدان». إذاً لم يكن أبو ذر ثائرا ولا نازعاً من طاعة ولا ممتنعا عن الخليفة إن عاقبه..وإنما كانت معارضته سلبية تكتفى بالنقد اللاذع والنصح العنيف ...[1].

فأين ما ذكره هؤلاء الثقات مما حرره صاحب « الكشف والبيان» زاعما أن الخليفة عثمان نفى أبا ذر إلى الربذة ، ونفى آخرين لا يعرف الناس عنهم شيئا حتى ناشر النص لا يجد لهم ترجمة ولا يعثر لهم على ذكر فى أى كتاب باستثناء واحد فقط هو زيد بن صوحان .

ويروى أن أبا الدرداء كان فاضلاً زاهداً وكان قاضيا على دمشق ، وقد وقع بينه وبين معاوية كلام أيضا ، فقد اشتد

(١) انظر عثمان : محمد فتحى : التاريخ الإسلامى ص ٢٢٢ الكويت ١٩٦٩م .

فى الحق ، وأخرج طريقة عمر فى قوم لم يحتملوها ، فعزلوه لذلك فأتى المدينة .

وهذه كلها مصالح لا تقدم فى الدين ولا تؤثر فى منزلة أحد من المسلمين بحال ، وأبو الدرداء وأبو ذر بريئان مما يعاب ، سواء خرج أبو ذر برغبة منه أو بناء على اقتراح عثمان ، وعثمان رضى الله عنه أيضا أكثر براءة وأعظم نزاهة ، فمن زعم أنه نفى أو روى سببا لهذا النفى فهذا كله باطل [1] .

---

(١) انظر ابن العربى : العواصم من القواصم ص ٧٣ - ٧٧ وما بها من تعليقات للأستاذ محب الدين الخطيب .

تاسعاً: مخالفة السنة النبوية

والصلاة أربع ركعات فى « منى »

أما أن عثمان صلى فى « منى » أربع ركعات ، وإنما صلى نبى الله ﷺ وأبو بكر وعمر ركعتين ، فقد كان ذلك اجتهاد منه - رضى الله عنه - فقد وجد أن الناس افتتنوا بالقصر وفعلوا ذلك فى منازلهم ، فرأى أن السنة ربما أسقطت الفريضة فتركها خشية الذريعة ، وقد كان ذلك فى منى سنة ٢٩ هـ .

وقد حدث عتاب من عبد الرحمن بن عوف لعثمان - رضى الله عنهما - بسبب إتمامه للصلاة ، فاعتذر الخليفة بأن بعض من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا فى العام الماضى إن الصلاة للمقيم ركعتان ، وهذا إمامكم عثمان يصلى ركعتين » ثم قال عثمان لعبد الرحمن « وقد اتخذت بمكة أهلا - يعنى أنه أصبح فى حكم المقيم لوجود أهل له بمكة - فرأيت أن أصلى أربعاً لخوف ما أخاف على

الناس ، ثم خرج عبد الرحمن من عند عثمان ، فلقى ابن مسعود - رضى الله عنهم - وخاطبه فى ذلك ، فقال ابن مسعود : «الخلاف شر ، قد بلغنى أنه صلى أربعاً ، فصليت بأصحابى أربعاً » ، » فقال عبد الرحمن : قد بلغنى أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابى ركعتين ، وأما الآن فسوف يكون الذى تقول» يعنى نصلى معه أربعاً (١) .

هذا مع أن جماعة من العلماء يرون أن المسافر مخير بين الإتمام وبين القصر ، وقد اختلف الصحابة فى ذلك .

نقل محمد بن يحيى الأشعرى المالكى المعروف بابن بكر فى كتابه التمهيد والبيان فى فضل الشهيد عثمان (٢) أنه روى عن جماعة من الصحابة إتمام الصلاة فى السفر ، منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابة ،

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ج٥ ص٥٦، ٥٧ من طبعة مصر ، ج٤ ص٢٦٧ ، ٢٦٨ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٢٩هـ ، ابن الأثير الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٢ ، ١٠٤ من طبعة بيروت سنة ١٩٦٥م ، حوادث سنة ٢٩هـ .

(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣ تاريخ .

وفـي أبـواب التقـصير من صحـيح البـخاري[1] حـديث الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان ، فأقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر ، قال الزهري « فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم ، قال : تأولت ما تأول عثمان ، وفي مسند الإمام أحمد [2]عن عبادة عن عبد الله بن الزبير قال: لما قدم علينا معاوية حاجاً قدمنا معه مكة ، فصلى بنا الظهر ركعتين ، ثم انصرف إلى دار الندوة . وكان عثمان – رضي الله عنه – حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعا أربعا ، فإذا خرج إلى « منى وعرفات » قصر الصلاة ، فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة ، فلما صلى بنا ـ يعني معاوية ـ الظهر ركعتين ، نهض إليه مروان وعمرو ابن عثمان ، فقالا له : « ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما

---

(١) الجامع الصحيح : ١٨ ب ٥ – جـ١ ـ ٢ ، ص ٣٦.

(٢) ٤ : ٩٤.

عبثه ، قال لهما : وما ذاك ؟ فقالا له : ألم تعلم أنه أتم الصلاة فذكر لهما أنه صلاهما مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر ، قالا فإن ابن عمك كان أتمها » ، والذى يظهر أن معاوية - رضى الله عنه - رأى أن القصر رخصة، وأن المسافر على التخيير، فصلى العصر أربعاً .

وهكذا كان عند الخليفة عثمان -رضى الله عنه- مبرره القوى عندما أتم الصلاة فى منى ، وهو على أى حال لم يرتكب مخالفة خطيرة ، والمسألة قابلة للاجتهاد ..

نعم ، قصر رسول الله ﷺ الصلاة فى منى وعرفات ، لكن هل اقترن فعله بما يدل على وجوب قصر الصلاة من نص أو غيره ؟ لا يستطيع أحد أن يدعى ذلك .. وإلا فكيف وسع الفقهاء أن يقولوا إن قصر الصلاة فى السفر رخصة وإن الإتمام عزيمة والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه .. ؟ [1] ..

---

(١) عرجون : الشيخ صادق إبراهيم ، عثمان بن عفان ص ٢٠٠ وما بعدها .

عرجون : الشيخ محمد الصادق ، الخليفة المفترى عليه : عثمان بن عفان ص ١٢٤ وما بعدها.

لقد ناظر أعلام الصحابة رضوان الله عليهم عثمان ، فلما رأوا أنه لا يغير رأيه ، ساروا سيرته وذهبوا مذهبه مخافة الاختلاف ، فهو قد اجتهد ولم يرد إلا الخير[1] ، والأمر لا يستوجب إذن ما قام به المغرضون ضد عثمان من التحريض عليه وإيذائه والتنكر له بل ومحاصرته فى داره وطعنه حتى لقى ربه شهيدا .

---

(١) حسين: الأستاذ الدكتور طه حسين ، الفتنة الكبرى ١- عثمان ص ١٧٩ . ١٨٠ .

عاشراً: إدالة المال بين الأغنياء

ما يتهم به عثمان ـ رضى الله عنه ـ من إدالة المال بين الأغنياء هل المقصود به أنه وصل الزبير بن العوام بمبلغ كبير من المال ؟ لقد وصل أيضا خباب بن الأرت وعبد الله ابن مسعود وعمار بن ياسر وسعد بن مالك وابن همنار ، وأقطع على بن أبى طالب كردوس بن هانىء الكردوسية كما تقدم ، وأقطع سويد بن عفلة أرضاً لذويه...

هذه مسألة ينبغى أن نقيمها بمعايير زمنها لا بمعاييرنا المعاصرة ، يقول أبو يوسف :

« الأرض عندى بمنزلة المال ، وللإمام أن يجيز من بيت المال من كان له غناء فى الإسلام ، ومن يقوى على العدو ، ويعمل فى ذلك بالذى يرى أنه خير للمسلمين وأصلح لأمرهم ...»[1] . وللأستاذ الدكتور طه حسين تعليق جيد

---

(١) انظر : الخراج ص ٦٠-٦٢ ، وكذلك عثمان : محمد فتحى ، التاريخ الإسلامى ، والمذهب المادى فى التفسير ، أضواء على تجربة ص ٢٠٦ الكويت سنة ١٩٦٩م .

على هذه المسألة يقول فيه :

الشيء المحقق أن عثمان لم يدهن فى دينه .. والشيء المحقق أيضا هو أن عثمان لم ير فى سياسته مخالفة خطيرة أو غير خطيرة لسيرة الشيخين ، فهو لم يتعمد الجور ولا المحاباة ، وإنما وسع على الناس من أموالهم ، رأى فى بيت المال غنى فآثر الناس به ولم يغُل فى الادخار ، ورأى حرج فى أن يصل أصحاب النبى ﷺ بشيء من هذا المال قليل أو كثير ، وهم أئمة الإسلام وبناة الدولة ... وقد احتملوا الكثير من الشدة والحرمان ... وأتى خير كثير فما يمنع أن يستمتع هؤلاء المهاجرون بشيء من هذا الخير الكثير ..[1].

---

(١) انظر الفتنة الكبرى ١- عثمان ص ٧٧، ٧٨.

حادى عشر: موقفه من الثائرين بمصر

من الأباطيل أيضا ما يقال من أن عثمان - رضى الله عنه - كتب إلى عامله بمصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، يأمره بقتل الثائرين بعد أن أظهر لهم التوبة من ذنبه ، وأنه بدأهم بالفتنة عندما رمى رجل من أصحابه رجلا من الثائرين يقال له دينار بن عياض فقتله ، ولما طلبوا من الخليفة أن يقيدهم بصاحبهم امتنع ، وقالوا إن حامل الكتاب المزعوم المشار إليه كان راكبا أو كان غلاما ، ولم يقل أحد إنه كان غلام عثمان وإنما قالوا إنه كان غلام الصدقة أى أحد رعاة إبل الصدقة التى هى ألوف كثيرة يقوم برعايتها مئات الرعاة ، وهؤلاء بسبب كثرتهم وتبدلهم دائما لا يكاد يعرفهم رؤساؤهم ، فضلا عن أمير المؤمنين وكبار أعوانه .

ولنفرض أن الغلام المقبوض عليه من رعاة إبل الصدقة ،

فهل من الصعب أن يستأجره البغاة لغرض من أغراضهم ؟ لقد ثبت أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة المنورة بعد رحيل الثوار مقتنعين بأجوبة الخليفة ، فما يمنع أن يكون هذان الرجلان قد قاما بتدبير قصة الكتاب وحامله حتى يمكنهما رد الثوار وتجديد الفتنة ؟ بل لقد ذكر عن محمد بن أبى حذيفة - ربيب عثمان الآبق - إنه كان فى الآن نفسه موجوداً بمصر يؤلب الناس على الخليفة ويزور الكتب على لسان أزواج النبى -ﷺ- ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت فى الفسطاط ووجوههم إلى وجه الشمس لتلوح تلك الوجوه تلويح المسافر ، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق الحجاز بمصر ثم يرسل رسلا يُخبرون عنهم الناس ليستقبلوهم.. فإذا لقوهم قالوا إنهم يحملون كتباً من أزواج النبى ﷺ فى الشكوى من حكم عثمان ، وتتلى هذه الكتب فى جامع عمرو بالفسطاط على ملأ من الناس وهى مكذوبة مزورة

وحملتها كانوا فى مصر لم يذهبوا إلى الحجاز [١] .

أرأيت المدى الذى وصلت إليه الأمور، وهل كان من الصعب على من يفعل ذلك أن يزوّر كتاباً على عثمان ؟ !! وإن المرء ليتساءل ، كيف يكتب الخليفة عثمان رضى الله عنه إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وقد أذن له بالمجىء إلى المدينة ويعلم أنه قد خرج من مصر[٢] إن المتسلط على مصر آنئذ كان أحد قادة الفتنة : محمد بن أبى حذيفة المشار إليه ، على أن مضمون الكتاب المزعوم قد اضطرب الرواة فى تحديده .

وعلى كل حال ، فقد طلب عثمان من الثائرين أن يقدموا شاهدين على صحة ما زعموه «وإلا فيمينى أنى ما كتبت ولا أمرت ، وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب

---

(١) انظر عرجون : الشيخ صادق إبراهيم ، عثمان بن عفان ص ١٢٩- ١٣٣.

(٢) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج٥ ص ١٢٢ من طبعة مصر ج٤ ص ٣٧٨من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة٣٥هـ.

على خطه وينقش على خاتمه »[1]، فقالوا لتسلم لنا مروان ، فقال لا أفعل .

وكيف يأمر عثمان بالقتل ، ومعروف عنه أنه ما سعى فى قتل أحد حتى من سعوا لقتله ، لقد دخل عليه من دخل الدار وفعلوا به ما فعلوا ولم يأمر بقتلهم دفاعاً عن نفسه ، كيف يبتدىء بقتل معصوم الدم [2] ، وكيف يسلم لهم مروان ؟ إنه لو فعل لعدّ ظالماً ، فالذى لهم على الخليفة هو المطالبة بما لهم من حقوق على مروان أو سواه ، فإذا ثبت لهم الحق فإن الإمام هو الذى ينفذه وهو الممكن لمن يأخذه بالحق ، وإذا كان مروان صاحب فضيلة وسابقة ومكانة ، ولم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله ، فكيف يسلمه للثائرين الحاقدين؟! وسيأتى مزيد توضيح لذلك قريبا .

---

(١) حدث ذلك : زمن سيدنا عمر بن الخطاب ، روى ذلك البلاذرى فى فتوح البلدان ص٤٤٨ من طبعة ١٣٥٠هـ، وابن حجر فى الإصابة ٣: ٥٢٨ طبعة ١٣٢٨ هـ.

(٢) انظر ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ٣ ص١٨٨ من الطبعة الأولى .

ثانى عشر: منع أهل عُمان والبحرين من البيع والتِجارة

يقال إن الخليفة عثمان منع أهل عُمان والبحرين أن يبيعوا طعامهم حتى يباع طعام الإمارة مع أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿.. **وأحل الله البيع وحـــرم الربا..**﴾[1].

هذا القول لم نعثر عليه فى واحد من المراجع والمصادر التى بين أيدينا ، ويبدو أنه من الأكاذيب الملفقة على الخليفة ، وعثمان رضى الله عنه ، أكرم على الله ، وأتقى من أن يمنع الناس البيع الذى شرعه الله للتيسير على عباده ، ولهذا فلا نحتاج للتعليق عليه .

وقد نظر الأستاذ الدكتور طه حسين إلى كل التهم المنسوبة للخليفة عثمان رضى الله عنه فوجد أن منها ما يمس الشئون الدينية الخالصة ويتصل بنص من القرآن

---

(١) البقرة: ٢٧٥ .

أو السنة ومنها ما يتصل بالشئون السياسية التى يمكن أن يجتهد فيها الإمام فيخطىء أو يصيب ، وليس عليه بأس فى دينه إن أخطأ ما دام مجتهداً ، ومنها ما يتصل بالنظام الاجتماعى ، فهو كذلك موضوع الاجتهاد ويخطىء فيه الإمام ويصيب ، والمقياس فى الأمور السياسية والاجتماعية هو العدل ورضا أكثر المسلمين(١) .

ولعل من المناسب هنا أن نورد دفاع عثمان رضى الله ، الذى قاله فى مواجهة المغرضين ، وعلق فيه على ما قالوه ، ونفى كل ما نسب إليه واستخرج من الحاضرين إقرارا بصحة كل ما قال: ذكر الخليفة كلامه على النحو التالى: « قالوا أتم الصلاة فى السفر وكانت لا تتم ، إلا أنى قدمت بلداً فيه أهلى فأتممت لهذين الأمرين، أو كذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا حميت حمى ، وإنى والله ما حميت ، حمى قبلى ، والله ما حموا شيئا لأحد ، ما حموا ما غلب عليه أهل

---

(١) الفتنة الكبرى / عثمان ص ١٧٥ .

المدينة ، ثم لم يمنعوا من رعيته أحدا ، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع . ثم ما منعوا ولا نحوا منها أحدا إلا من ساق درهما ، وما لى من بعير غير راحلتين ، وما لى ثاغية ولا راغية ، وإنى قد وليت وإنى أكثر العرب بعيراً وشاة فمالى اليوم شاة ولا بعيرا غير بعيرين لحجى ، أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم . وقالوا كان القرآن كتبا فتركها إلا واحدا ، ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد ، وإنما أنا فى ذلك تابع لهؤلاء ، أكذلك ؟ قالوا : نعم ، وسألوه أن يقيلهم ، وقالوا إنى رددت الحكم وقد سيره رسول الله ﷺ . والحكم مكى ، سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف ثم رده رسول الله ﷺ أكذلك ؟ قالوا: اللهم نعم ، وقالوا : استعملت الأحداث ولم أستعمل إلا مجتمعاً محتملاً مرضياً ، وهؤلاء أهل عملهم ، فسلوهم عنهم ، وهؤلاء أهل بلدهم ، لقد ولى من قبلى أحدث منهم ، وقيل فى ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لى فى استعماله « أسامة » أكذلك ؟ قالوا : اللهم

نعم ، يعيبون للناس ما لا يفسرون ، وقالوا : إنى أعطيت ابن أبى سرح ما أفاء الله ، وإنى إنما نفلته خُمس ما أفاء الله عليه من الخُمس ، فكان مائة ألف ، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذاك لهم ، أكذلك ؟ قالوا : نعم .

وقالوا إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم ، فأما حبى لهم فإنه لم يمل معهم إلى جور ، بل أحمل الحقوق عليهم ، وأما إعطاؤهم فإنَّ ما أعطيهم من مالى ، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس ، ولقد كنت أعطى العطية الرغيبة من صلب مالى أزمان النبى ﷺ وأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وأنا يومئذ شحيح مريض ، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى وفنى عمرى ، وودعت الذى لى فى أهلى قال الملحدون ما قالوا ! وإنى والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله ، ولقد رددته عليهم ، وما قدم على إلا الأخماس ، ولا يحل لى منها شيء ، فتولى المسلمون وضعها فى أهلها دونى ،

ولا تبلغت من مال الله بفلس فما فوقه ، وما أتبلغ منه ، ما آكل إلا مالى .

وقالوا : أعطيت الأرض رجالاً ، وإن هذه الأرض شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت ، فمن قام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ، ومن رجع إلى الله لم يذهب ذلك ما حوى الله له ، فنظرت فى الذى يصيبهم مما أفاء الله عليهم ، فبعثه لهم بأمرهم ، من رجال أهل عفار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم ، فهو فى أيديهم أدنى» .

وقد أبى من سمع احتجاج عثمان من الصحابة إلا قتل المتآمرين المغرضين ، لكن الخليفة رضى الله عنه أبى إلا تركهم (١) .

***

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٤٦ - ٣٤٨ من طبعة محمد أبوالفضل إبراهيم . حوادث سنة ٣٥ هـ ، وكذلك عرجون : الشيخ صادق إبراهيم ؛ عثمان بن عفان ص ٨٨ ، ٨٩ ، عرجون : الشيخ محمد الصادق ، الخليفة المفترى عليه عثمان ابن عفان ص ٦١ ، ٦٢ ، أبو النصر : عمر ، عثمان بن عفان ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

وبعـــد ...

فإذا كانت الأمور على النحو الذى عرضناه ، ولم يصح شىء منها عن عثمان بل كلها أباطيل وزور وبهتان فإن السؤال الذى يفرض نفسه فى هذه المرحلة من البحث هو :

لماذا قام الثائرون بما قاموا به ضد إمامهم حتى حاصروه فى داره وضيقوا عليه الخناق وتسلقوا عليه حتى استشهد على أيديهم رضى الله عنه ؟ .

الواقع أن قوما ألّبوا على عثمان بدافع الحقد ، ممن ظن فى نفسه مقدرة على إمرة ولم يصل إليها ، وممن حسد مَنْ وصلوا إلى الولاية أو السلطان ، وكان هؤلاء على قلة دين وضعف يقين ، يؤثرون الدنيا على الآخرة ، ولا يبغون الامتناع عن هذا العالم .

من هؤلاء الغافقى بن حرب العكى ، من أبناء وجوه القبائل اليمنية التى نزلت مصر عند الفتح ، وكان متهافتاً على الرئاسة والوجاهة ، وقد أخذ يتصدر الناس ويحرضهم وينفذ مخططاً رسمه محمد بن أبى حذيفة -

ربيب عثمان الذى سبقت الإشارة إليه - ، ومعهما كنانة ابن بشر التجيبى ، الذى استمال عمار بن ياسر إلى حركتهم عندما أرسله الخليفة فى مهمة إلى مصر لتقصى الحقائق بها - وهو الذى تجرأ على مقتل عثمان فيما بعد بعدما اقتحم عليه داره - بالإضافة إلى سودان بن حمدان السكونى من قبائل مراد التيمية التى نزلت مصر ، وقد تسور الدار مع من تسور على عثمان - رضى الله عنه - واشترك فىالجريمة العظمى وخرج من الداروهو يصيح: قتلنا عثمان بن عفان [1]. وقد وجد عبد الله بن سبأ الجو مهيئا فى الفسطاط بفضل هؤلاء وأضرابهم ، فأخذ يشعل نارا على نار [2].

أما الكوفة فقد وجد من الثائرين بها عبد الله بن بديل ابن ورقاء الخزاعى وهو واحد ممن قتل بعض من كان

---

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٢٢ من طبعة مصر ، ج٤ ص ٣٧٩ ، ٣٩١ وما بعدها من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ١٥٥ وما بعدها حوادث ٣٥ هـ.

يدافع عن عثمان - رضى الله عنه - أثناء محاصرته فى داره .

وهناك أيضا حكيم بن جبلة العبدى من قبائل عبد القيس وأصلهم من عمان وسواحل الخليج الفارسى ، وقد توطن البصرة بعد تمصيرها ، ومعروف أنه كان يفسد فى الأرض ويتنكر ويؤذى أهل الذمة أثناء الفتوحات الإسلامية [١].

وهو الذى استضاف عبد الله بن سبأ عندما نزل البصرة ، وكان على رأس الفرق التى هاجمت المدينة المنورة .

أضف إلى هؤلاء مالك بن الحارث الأشتر من النخع ، وهى قبيلة يمنية ، من قبائل مذحج ، وقد اتخذ مالك الكوفة دار إقامة له ، ودفعه حبه للرئاسة إلى الانزلاق مع الخارجين على الدولة ورجالها ، وشارك فى إشعال الفتنة

---

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٩٠ من الطبعة الأولى ، ج٤ ص ٣٤٩ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٣٥هـ .

فى إقليمه وعاند واليه فى أكثر من مناسبة ، وانضم لثوار الكوفة ومضى مع رؤساء الفتنة حتى النهاية [1].

كان هؤلاء قادة الفتنة ، وقد طلب منهم عثمان - رضى الله عنه - أن يتوجهوا فى جماعتهم إلى معاوية بالشام ، فوعظهم وذكرهم الله وطالبهم بتقواه ، وبعد مجادلات أخرجهم معاوية ، فمروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد - والى حمص لمعاوية - فحبسهم ووبخهم وأذلهم حتى تابوا أمامه ، وكتب إلى الخليفة بخبرهم فطلب الخليفة قدومهم إليه حيث جددوا التوبة ممثلين فى شخص الأشتر النخعى ، وترك لهم عثمان رضى الله عنه حرية اختيار المكان الذى يسيرون إليه ، فاختار بعضهم الكوفة وبعضهم البصرة وبعضهم مصر ، وما أن استقروا حتى خالفوا ما اتفقوا عليه وثاروا وألّبوا وانضم إليهم جمع ، واتفقوا جميعاً على الخروج سنة ٣٥ هـ بعد أن نظموا أنفسهم فى

(١) نفسه ج ٥ ص ٦٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ج٤ ص ٣٤٩ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٣٥ هـ.

اثنتى عشرة فرقة بواقع أربع من كل إقليم من الأقاليم الثلاثة : الكوفة والبصرة ومصر ، وتظاهروا بالخروج للحج ، بينما كان مقصدهم الحقيقى هو الفتنة والمجاهرة بمعصية الله عز وجل ، وكان عبد الرحمن بن عديس البلوى من قضاعة وممن نزل مصر مع جيش الفتح - على رأس المصريين ، بينما كان حكيم بن جبلة على رأس مجموعة البصرة وقاد الأشتر مالك بن الحارث النخعى جماعة الكوفيين .

وقد استقبلهم عثمان رضى الله عنه وطلبوا منه أن يقرأ فى المصحف من سورة يونس حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ءَآللَّهُ أذن لكم أم على الله تفتــرون﴾[1] قالوا له : قف.. أرأيت ما حميت من الحمى ، أَأَذِنَ الله لك أم على الله افتريت؟ قال امضه ، إنما نزلت فى كذا وقد حمى عمر ، وزادت الإبل فزدت ، فجعلوا يتبعونه هكذا وهو

(١) سورة يونس جزء من الآية : ٥٩ .

ظاهر عليهم ، ثم قال لهم : ماذا تريدون ؟ فأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه أن المنفى يعاد والمحروم يعطى ويوفر الفيء ويُعْدل فى القسم ويستعمل ذوو الأمانة والقوة ، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة ، ثم رجعوا راضين من طريقين مختلفين ، فالمصريون اتجهوا شمالاً لغرب ليسيروا على ساحل البحر الأحمر إلى السويس ومصر ، والكوفيون والبصريون اتجهوا شمالاً لشرق ليبلغوا البصرة والكوفة .

وبينما كل فريق فى طريقه ، وبين الطريقين مسافات بعيدة ، إذا براكب يتعرض للمصريين وحدهم ثم يفارقهم مرارا ، ليلفت الأنظار إليه ويثير الشكوك فيه ، وهذا ما أراده مَنْ بقى بالمدينة ، ومثّل هذا الدور اثنان،وهما الأشتر وحكيم بن جبلة ، وقد سئل هذا الراكب فقال أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ، ومعروف - كما أسلفنا - أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان فى طريقه إلى مصر بعد أن كتب يستأذن الخليفة فى القدوم إلى المدينة ،

وكان محمد بن أبى حذيفة - أحد رؤوس الفتنة - هو المسيطر على أعنة الأمور فى الفسطاط ، وبتفتيش الراكب المزعوم عثر معه على كتاب على لسان عثمان - رضى الله عنه - عليه خاتمه يرسله إلى عامله بمصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم .

وهذه أخبار مرسلة لا يعرف قائلها ، ومضمون الكتاب موضع خلاف شديد بصورة تحمل على الريبة فيه ، وقد عادت قوافل الثوار إلى المدينة فى وقت واحد ، سواء العراقية التى كانت متباعدة فى الشرق أو المصرية التى كانت فى الغرب ، الشىء الذى دفع الإمام على - كرم الله وجهه - إلى سؤالهم « كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا ؟ إن هذا والله أمر أبرم بالمدينة [1] . أى أنه من

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٤ ص٣٥١ ، ٣٧٨ من نشرة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٣٥هـ .

تدبير الشخصين اللذين تخلفا فيها ، وقد تناقشوا مع الإمام على - كرم الله وجهه - وطلبوا منه أن يذهب معهم إلى الخليفة عثمان - رضى الله عنه - فلما رفض قالوا له : فلم كتبت إلينا ؟ قال والله ما كتبت إليكم ، فنظر بعضهم إلى بعض[1] .

فالذين زوروا على عثمان كتاباً ، زوروا على «على» مثله ، بل وعلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهم جميعاً ، فقد عاتب مسروق بن الأجدع الهمدانى - وهو واحد من الأئمة الأعلام - أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان - رضى الله عنه - فأقسمت بالله الذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون أنها ما كتبت إليهم سوادا فى بياض ، قال سليمان بن مهران الأعمش - وهو واحد من أعلام الحفاظ - فكانوا يرون أنه كتب على لسانها .

---

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٠٨ من طبعة مصر ، ج٤ ص٣٥٥ ، من نشرة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث سنة ٣٥ هـ.

وقد رفض الأستاذ الدكتور طه حسين قصة هذا الكتاب الذى يقول الرواة إن المصريين قد وجدوه أثناء عودتهم إلى مصر » فهذه القصة - فيما أرى ملفقة من أصلها ، فليس بمعقول ولا مقبول أن يكيد خليفة المسلمين بهذه الطريقة ، وليس بمعقول ولا مقبول أن يجترىء مروان على الخليفة فيكتب هذا الكتاب ويمضيه بخاتمه ويرسله مع غلامه على جمل من إبله ، كل هذا أشبه بأن يكون ملهاة سخيفة منه بأن يكون شيئاً قد وقع[1].

أما الأستاذ عمر أبو النصر فيميل إلى اتهام الخليفة عثمان رضى الله عنه بالتهاون فقد كان فى وسعه أن يسأل الغلام عن الشخص الذى سلم إليه الكتاب وعمن أمره بالمسير إلى مصر وعمن أعطاه جمل الصدقة ، وكان فى وسعه أن يسأل القيم على إبل الصدقة عمن أخذ ذلك الجمل ، ولم أخرجه بدون إذن أمير المؤمنين ؟ وفى هذه الحال كان

---

(١) انظر: الفتنة الكبرى ١- عثمان ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

يتبين الذى افتعل الكتاب والذى وجه الغلام إلى مصر غير أن عثمان لم يفعل ذلك وحينئذ يكون معذورا من يتهمه بالتهاون[1] ، لكن إذا كانت القضية كلها ملفقة ومن إعداد وتدبير المغرضين المفسدين ، فما جدوى مثل هذه الأسئلة؟إنهم هم الذين رتبوا أمر الغلام وأمر بجمل الصدقة وأشاروا عليه بأن يفعل ما فعل دون أن يكون لذلك كله ظل من الحقيقة ، ولهذا عاد المؤلف نفسه وبرأ عثمان - رضى الله عنه - من قصة هذا الكتاب الذى وقع عليه المصريون[2]

ومهما يكن من أمر فقد خرج « على » من المدينة وانطلق هؤلاء إلى عثمان ، فقالوا له ، كتبت فينا كذا ، قال لهم إما أن تقيموا اثنين من المسلمين أو يمينى ، فلم يقبلوا ذلك ونقضوا عهده وحاصروه ، وقد طلب منه الأشتر - ممثل الثائرين - أن يخلع نفسه أو يقتص منه أو يقتل فرفض رضى الله عنه .

(١) انظر: عثمان بن عفان ص ١٥٩ .

(٢) نفسه ص ١٦٧ .

وقد دخل عليه عبد الله بن عمر فى هذا الموقف فقال له عثمان : انظر ما يقول هؤلاء ، يقولون : اخلع نفسك أو نقتلك ، قال له ابن عمر : أمخلد أنت فى الدنيا قال : لا قال : هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ قال : لا قال : هل يملكون لك جنة أو نارا . قال : لا قال : فلا تخلع قميص الله عنك فتكون سنة ، كلما كره قوم خليفتهم قتلوه أو خلعوه.

« ولو أن كل خليفة أجاب الخارجين إلى خلع نفسه من الخلافة لأصبحت عروش الإسلام ألعوبة فى أيدى المفتونين الساعين فى الأرض بالفساد ، ولسادت الفوضى واختل نظام البلاد والعباد ولكان ذلك تسليطا للرعاع والغوغاء على الدولة والحكام »[1].

وعلى كل حال فقد أشرف عثمان ـ رضى الله عنه ـ على الثائرين واحتج بالحديث الصحيح فى بنيان المسجد وحفر

---

(١) انظر عرجون : محمد الصادق ، الخليفة المفترى عليه عثمان ص ٦٣ ، العقاد : الأستاذ الكبير عباس محمود ، ذو النورين : عثمان ص ٢٥٦ .

بئر رومة وقول النبى ﷺ حين رجف بهم جبل أحد [١].

وقد استسلم عثمان - رضى الله عنه - للأقدار ، ورفض أن يدافع عنه أحد ، فقد كان يتقى الله فى دماء المسلمين . روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان فى الدار فقال : اعزم على كل من رأى أن عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه ، ثم قال لابن عمر - وكان متقلدا سيفه قم يا ابن عمر فأخبر الناس ، فخرج ابن عمر والحسن بن على وعبد الله بن الزبير ، ودخل عليه الثائرون فقتلوه ، وجاء زيد بن ثابت فقال له : إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصار الله (مرتين) قال عثمان : لاحاجة لى فى ذلك [٢] ، وقال له أبو هريرة: اليوم طاب

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ الطبرى ج٥ ص ١٢٥ من طبعة مصر ، ج٤ ص ٣٨٢ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم ، حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢) انظر تفصيلا أكثر عند البلاذرى : أنساب الأشراف ٥: ٧٣ ، جاد المولى : محمد أحمد ، إنصاف عثمان ص ١٠٥ ، عرجون : محمد الصادق ، الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان ص ٦٥ .

الضرب معك ، قال عزمت عليك لتخرجن ، أو قال له أبو هريرة: هذا يوم طاب أمضرب يعنى أنه حل القتال وطاب، وهذه لغة حمير.

وكان الحسن بن على آخر من خرج من عنده، فقد جاءه الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان فعزم عليهم فى وضع سلاحهم وخروجهم ولزوم بيوتهم ، فقال له ابن الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا لا نبرح ، ففتح عثمان الباب ، فدخلوا عليه وقتلوه فى أصح الأقوال [1]وقد أكد الخليفة هذا المعنى فى مناقشته للخارجين عليه ، قال وأما قولكم تقاتلون من قتل دونى فإنى لا آمر أحداً بقتال ، فمن قاتل دونى فإنما قاتل بغير

(١) انظر الطبرى: تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٢٨ ، ج٤ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ من طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم حوادث ٣٥هـ.

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ١٧٤ ، ١٧٦ حوادث ٣٥ هـ والعبارة عنده « هذا يوم طاب فيه الضرب ».

حسين : الأستاذ الدكتور طه حسين ، الفتنة الكبرى ١ عثمان ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

أمرى ، ولعمرى لو كنت أريد قتالكم لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود وبعثوا الرجال أو لحقتُ ببعض أطرافى بمصر أو عراق(١) .

وهكذا يتبين لنا أن الصحابة لم يقعدوا عن نصرة الخليفة ، ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفا بلديين أو أكثر من ذلك ، لكن عثمان - رضى الله عنه - رضى بالمصيبة ،لأنه اختار أهون الشرين ، وآثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين(٢) .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٧٧ ، ص ٣٨٥ من طبعة محمد أبوالفضل إبراهيم ، حوادث سنة ٣٥ هـ .

(٢) انظر ابن العربى : العواصم من القواصم ص ١١١- ١٣٧ وما بها من تعليقات للشيخ محب الدين الخطيب . وليس بصحيح ما زعمه م . أ . شعبان من أن الناس فى المدينة تركوا عثمان - رضى الله عنه - بدون حماية يواجه خصومه المعتدين وجهاً لوجه حتى اغتالوه انظر : M. A shaban ; Islamic history وقد ترجم للأسبانية تحت عنوان : La hestoria del Islam P. 92 من الترجمة الأسبانية .

تلك هى الحقائق واضحة جلية ، يتبين منها كذب صاحب « الكشف والبيان » فيما ذكره من اقتتال القوم قتالا شديدا ، ويتبين منها افتراؤه على الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ حين زعم أنه كان هناك فى المسجد النبوى عليه سلاحه يحرض الناس على القتال ، وافتراؤه على طلحة بن عبيد الله وأنه كان فى جماعة من الناس على باب القصر عليه سلاحه يحث الناس على الدخول على عثمان ـ رضى الله عنه ـ وأن القتال استمر إلى أن فتح عمرو بن حزم الأنصارى باب داره المجاورة لباب عثمان ونادى فى الناس ، هلموا فادخلوا عليه من دارى ، وأن الثائرين قاتلوا أنصار عثمان فى جوف الدار حتى انهزموا وفروا ، ومن الكذب أيضا ما يرويه المؤلف عن محمد بن مسلمة ـ أحد البدريين – من أنه اغتبط لمقتل عثمان ، وقال عن هذا اليوم المشئوم : ما رأيت يوما قط أقر للعيون ولا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم » إلى آخر تلك الترهات والأباطيل والأكاذيب التى حشدها صاحب ذلك الكتاب .

إن الحديث عن عوامل الانقلاب العاصف وأسباب تلك الهزة العنيفة التى تعرض لها المجتمع الإسلامى آخر عهد سيدنا عثمان ، يخرج بهذا البحث عن نطاقه وهدفه المحدود ، وحسبنا فقط أن نشير إلى ما ذكره العالم الجليل الشيخ صادق إبراهيم عرجون وغيره عندما عرضوا لهذا الموضوع قال : إن تلك العوامل قد تنوعت حسب زمنها وطبيعتها « فمنها القديم الذى يصعد إلى جاهلية الآباء والأجداد ، ومنها الحديث الذى هيأته الدوافع القائمة بين الأقران والأنداد ، ومنها ما كان فى طبيعته منتزعا من حوافر البيئة ومسوقا بسوط العصبية الموروثة ، ومنها ماكان مصبوغابصبغة الدين والحمية له والغيرة عليه »[1].

وحسبنا أيضا أن نشير إلى ما لفت الأستاذ العقاد

---

(١) انظر تفصيل ذلك عند : عرجون : الشيخ صادق إبراهيم ، عثمان بن عفان ص١٦-٤٣، عرجون: الشيخ محمد الصادق ، الخليفة المفترى عليه ، عثمان بن عفان ص ١٤ وما بعدها ، جاد المولى : محمد أحمد : إنصاف عثمان ص ٢٩ وما بعدها . حسين : الأستاذ الدكتور طه : الفتنة الكبرى ١ عثمان ص ١٣٤ - ١٣٧ ، أبو النصر =

الأنظار إليه من أن الناس قد لغطوا بسيادة قريش ولغطوا بالأموال التى أغدقها ولاة الأمر على الأنصار والأشياع، ولغطوا بإيثار الصناع وذوى القربى، ولم يكن شيء من هذا اللغط علة للتطور الاجتماعى الذى بدأ بعد دعوة الإسلام وانتهى بقيام الدولة الأموية.

إنّ مقتل عثمان لا يوصف بأكثر من أنه مشاغبة دهماء لم تجد من يكبحها، ولابد من التفرقة بين علله التى لغطت بها الألسنة فى حينها، وبين البواعث الحقيقية التى عملت فيه عملها الفعال ولم تعمل فيه بداهية بألسنة اللاغطين فى ذلك الحين، وأساس البلاء كله البطر على

= الأستاذ عمر : عثمان بن عفان ص ١٦٩ حيث يشير إلى رأى بعض المستشرقين فى هذ الصدد، وانظر أيضا ص ١٧٨ وما بعدها، هيكل :الدكتور محمد حسين، بين الخلافة والملك، عثمان بن عفان ص ١٠٢ وما بعدها ص ١١١ وما بعدها.

Francecsco Gabrieli :
Mahoma Y las Conquistas del Islam . p 94 Madrid 1976
M . A shaban : islamic history
وقد ترجمه للأسبانية : Helema Valentti تحت عنوان Historia del Islam
Madrid 1976 انظر ص ٨٠ - ٩٢ .

الحقـوق الـتى كسبها الـناس مـن الإسـلام وسـهولـة الشكوى [1].

وخلاصة الأمر بعد ذلك كله أن عثمان استقبل خلافته وهو يريد أن يسير سيرة صاحبيه ولا يغير منها شيئاً ، وسار على الجملة سيرة صاحبيه ، فلم يحتجب ولمَ يستْعل ولم يتسلط ، وإنما أدركه ما قد يدرك الناسِ من هذا الضعف الذى لا يأتى عن سوء نية ولا عن تعمد للبغى ، وإنما يأتى عن خلق كريم وعن حب للخير ورغبة فيه [2].

إن هناك هنات تحسب على عثمان جنت عليه وساْعدت من أراد أن يتجنى عليه بالحق والباطل ، ومنها توسعه فى حقوق الإمامة وتوسعه فى معيشة الغنى بعد خليفتين كانا مثالاً فى التقشف والرضا بالقليل ، وقد توسع كذلك فى تقريب ذوى قرابته واصطفائهم لأعماله وبطانته ، ومن الإنصاف أن يقال إن تقصيره فى حق نفسه أكبر من

---

(١) انظر : ذو النورين : عثمان بن عفان ص ١٤٩ - ١٥٢ .

(٢) انظر حسين : الأستاذ طه : الفتنة الكبرى - عثمان ص ٢١٦ .

تقصيره فى حق رعيته ، فقد أفرط فى المسألة واغتفر ما لا يغتفر من العدوان عليه فى حضرته وتحرج غاية التحرج من البطش بمساعير الفتنة (١).

ومرة أخرى هل كان عثمان - رضوان الله عليه - يستحق شيئا مما فعله به شانئوه والثائرون عليه ؟ !! أليس دمه حراما كدم كل المسلمين ، يضاف لذلك حرمة أخرى هى حرمة خلافته ورئاسته لدولة المسلمين ، هل كل الأسباب الواهية التى ذكروها تتيح لهم سفك الدم الحرام والاجتراءعلى الخلافة ؟!! .

وسبحان من بيده الأمر كله ، يقلب الليل والنهار وإليه المرجع والمآب ، له الحمد فى الأولى والآخرة .

---

(١) الأستاذ العقاد : ذو النورين : عثمان بن عفان ص ١٥٥ - ١٥٦ .

محتويات الكتاب

****

ترقبوا فى العدد القادم

اللغة العربية

ضرورة قومية

الدكتور/ فتحى أحمد عامر

الثمن ٥٠ قرشا

[illegible]